بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٢٩ ـ شوال ١٤٣٠هجرية قمرية

مهر ١٣٨٨هجرية شمسية / اكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٩

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦ +٩٨٢١هاتف: +٩٨٢١ ٨٨٣٢١٤١١

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٢٩

حوادث إيران الأخيرة عبر ودروس..... ٤

رسائل القرآن..... ٩

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي..... ١٧

الجيل الشاب كما يريده الإسلام..... ٢٥

الخطاب الديني والتحديات الداخلية..... ٣٥

المذاهب الإسلامية مدارس فقهية..... ٤٥

الوحدة الإسلامية تكليف شرعي..... ٦٠

النهضة عند السيد الشهيد الصدر ومالك بن نبي..... ٧١

الذنوب تؤدي بالإنسان إلى الكفر..... ٧٦

جمعية العلماء المسلمين وابن باديس..... ٨٥

ما هذا التكالب على ايران..... ٩٧

حينما يتباكى العرب على الديمقراطية في إيران..... ١٠٣

قوتان لا يستهان بهما..... ١٠٧

رسالة أخوية من الدكتور التويجري..... ١١١

أخبار التقريب..... ١١٤

حوادث إيران الأخيرة

عبر ودروس

تمرّ على الشعوب حوادث حلوة ومرّة، ومن الطبيعي أنّ جسامة هذه الأحداث تتناسب مع ضخامة حركة ذلك الشعب وعظمة أهدافه، فالشعوب التي لا حراك فيها ولا هدف كبيرًا لها، لا تواجه أحداثًا جسامًا، لأنها راكدة ساكنة مستسلمة لكل ما يمرّ بها، قابعة في استكانتها.

شعب إيران كان دائمًا في عصوره القديمة والحديثة يتعرّض لحوادث جسيمة متى ما عزم على هدف كبير، «وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم».

في الخمسينيات حين وضع نصب عينيه موضوع تأميم النفط وقطع يد الناهبين الدوليين عن بلاده، تعرّض لسخط القوى الطامعة، فتآمرت عليه حتى أسقطت انتفاضته.

وفي السبعينات حين تبنّى المشروع الإحيائي الإسلاميّ، وقرر إقامة دولة الإسلام بقيادة الولي الفقيه، شُنّت عليه حرب دولية استمرت ثماني سنوات، ثم توالى التآمر ولا يزال بصور مختلفة.

وكلّما قطعت الدولة الإسلامية خطوة على طريق تحقيق أهدافها ازدادت الضغوط، وتصاعد الهجوم.

وحين يئسوا من شنّ هجوم خارجي، عمدوا إلى الجبهة الداخلية ليحدثوا فيها ثغرات.. فكانت الأحداث الأخيرة.. يحلو للبعض أن

يلوم كل من يتحدث عن الغزو الثقافي والتآمر الخارجي، قائلاً: أنا أرفض نظرية المؤامرة، والواقع أن هذا الرفض هو ذاته مؤامرة، لأنه يريد أن يصرف الأنظار عن تخطيط تعمل على تنفيذه ليل نهار دوائر الاستكبار العالمي والصهيونية من أجل تركيع قوى المقاومة والممانعة في عالمنا الإسلامي.

المهمّ في كل ما يمرّ على الأمة من حوادث أن تأخذ الدروس والعِبَر منها. وكل التاريخ عِبَر كما يقول ابن خلدون. حوادث إيران الأخيرة كان فيها دروس للشعب الإيراني وللمسؤولين الإيرانيين، ونسأل الله التوفيق لهم للاعتبار بهذه الدروس. لكنها أيضًا تضمنت دروسًا يمكن أن تكون مفيدة لشعوبنا الإسلامية المتطلعة إلى عودة الحياة، واستئناف المسيرة الحضارية.

الدرس الأول:

في خضم هذه الحوادث أدركنا أكثر ما يتجهّز به أعداء الأمة الإسلاميّة من شبكة واسعة ضخمة من الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب القادرة على التأثير الواسع التقني المدروس. وأدركنا شدّة اهتمام هذا الإعلام بالعالم الإسلامي، بثوابته ومعتقداته ومقدساته ومقومات شخصيته. وهذا درس يفرض على كل المهتمين بحياة هذه الأمة أن يشمّروا عن ساعد الجدّ ليدخلوا عالم الفضائيات والشبكة العنكبوتية بتخطيط مدروس، وتقنية عالية، وهدف بنّاء إحيائي.

الدرس الثاني:

الغزو الثقافي مسألة جادة كلّ الجدّ، وحياتية إلى أقصى ما يمكن أن نتصوّر. إنها تستهدف إعطاء أطُر تفكير غربية لينظر شبابنا من خلالها إلى شؤونهم الاجتماعية والثقافية والسياسية والاجتماعيّة. وتستهدف أيضًا أن تضع معايير غربية في النظر إلى الأمور، وأن تخلق حاجزًا نفسيًا بين أبناء الأمة وجذورها الأصيلة. هذا الغزو الثقافي يتطلب حركة سريعة ومنسجمة من كل المفكرين والعلماء المخلصين الذين يجمعون بين الأصالة والمعاصرة أن يبلوروا مناهج تفكير الإنسان المسلم، وأن يعملوا على بيان ما في المناهج الغربية من ضعف وما في مناهج التفكير الإسلامي من قوّة..

الاصلاح.. الحرية.. الديمقراطية.. حقوق الإنسان.. وأمثالها إن لم يكن ثمة إطار واضح إسلامي معاصر لفهم هذه المقولات فإن البديل سيكون هو الغربي.

الدرس الثالث:

المواقف الدولية تجاه ظاهرة العودة الإسلامية. فالغرب وأمريكا والكيان الصهيوني إذا اختلفوا في المواقف السياسية والاقتصاية و.. فإنهم لا يختلفون في مواجهة أية ظاهرة إحياء إسلامية. وجدنا أن تنسيقًا يظهر فجأة بين أولئك ليشنوا أقسى هجوم إعلامي، وليتباحثوا في إجراء مزيد من الضغوط، وليتخذوا مواقف معادية، وليتدخلوا تدخلاً سافرًا في شؤون إيران خلال الأحداث الأخيرة. تمامًا كما حدث خلال حرب السنوات الثمان الظالمة على الجمهورية الإسلامية.

هذه المواقف المعادية تجاه الصحوة الإسلامية ليست بجديدة، لكنّ الجديد في هذه الأحداث أن هذه المواقف ركزت على الجانب الثقافي، وبرز فيها الانسجام والوحدة في الخطاب، واستخدام كل وسائل التقنية في هذا الاتجاه، تخال وكأنّ غرفة عمليات واحدة جمعت هذه القوى لتوجّه سهامها بكل ما أوتيت من قوّة.

الدرس الرابع

المواقف العربية، كان فيها الدرس الأغنى. لقد كان من المفروض أن يكون للعالم العربي موقف مدافع عن ثوابت الجمهورية الإسلامية وثباتها واستقرارها لأنها جزء من ثوابتهم وثباتهم واستقرارهم. غير أن هذه المواقف ما كانت بالصورة التي يتوقعها الإيرانيون . فقد انقسمت إلى جبهتين: جبهة أدركت – كما كانت تدرك من قبل – دور إيران في الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية، ومكانة إيران في ثبات المنطقة وحفظ كرامة الأمة وعزّتها، ودورها في كبح جماح العدوّ الصهيوني وتطاوله على العرب والفلسطينيين.. فراحت هذه الجبهة تنظر إلى الأمور نظرة موضوعيّة أخويّة ملتزمة، فكتبت وخطبت وأعلنت بوضوح موقفها المتعاطف مع ثبات الجمهورية الإسلامية واستقرارها وثوابتها، وكشفت عن زيف ما يحيطها من إعلام مسموم.

وثمة جهة ثانية حشدت كل طاقاتها للانسياق في موجة الإعلام المعادي، وجعلت من الحوادث الأخيرة في إيران فرصة لإعطاء صورة مشوّهة غير حقيقية عن هذه الحوادث.

وفي هذا العدد ننشر ثلاث مقالات طُبعت بأجمعها في «عدد واحد» ! من صحيفة «البصائر» الجزائرية، لنقدّم نموذجًا للخطاب العربي الإسلامي الملتزم تجاه الحوادث الأخيرة.. ونظرته إلى الخطاب العربي المنساق مع خطاب عدوّ العرب وإيران.

الدرس الخامس

الهجوم الإعلامي ضد الجمهورية الإسلامية في الحوادث الأخيرة اقترن بالهجوم الطائفي والعنصري. مراكز الإثارات الطائفية والعنصرية التي تعزف دائمًا على وتر (السنة الشيعة)، و(العرب والعجم) بدأت هذه المرّة تعزف على وتر (الأصوليين والإصلاحيين) وأخذت تدافع عن الإصلاحيين.. مما يؤكد أن هذه المراكز ليست لها دوافع سوى شنّ هجوم على الإحياء الإسلامي تحت أي شعار . تارة تحت شعار الدفاع عن أهل السنّة، وتارة الدفاع عن العروبة، وهذه المرة الدفاع عن الإصلاحيين. المهم استغلال فرصة الهجوم تحت أية راية، خدمة لمصالح أسيادهم.

هذا مرور على بعض الدروس وعسى أن تكون لنا وقفات أخرى عند دروس أخرى، لكنّ المهم في كل ذلك.. المهم للإيرانيين، والمهم لكل العالم الإسلامي، أن المشروع الإسلامي هو المشروع الوحيد الذي يستطيع أن يحفظ تماسك الأمة ووحدتها وثباتها وعزتها حين تتعرض إلى هزّات، وهذا هو الذي حفظ الجمهورية الإسلامية، ووفقها – بإذن الله – لتتجاوز أزمتها، وتخرج وهي مزودة بتجارب جديدة تجعلها أكثر قوة ومضاء وعزمًا على مواصلة طريق العزّة والكرامة.

رسائل القرآن

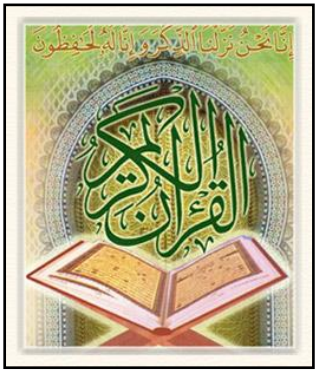

بسم الله الرحمن الرحيم

محسن قراءتي*

١٣١ - ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الرسائل:

● الآية ترتبط بقوله سبحانه في الآية السابقة ﴿اصطفيناه﴾ وهذه الآية تبين سبب الاصطفاء، أي اصطفيناه حين ﴿قال له ربه أسلم قال: أسلمت لربّ العالمين﴾ أي ألطاف الله سبحانه بإبراهيم تأتي نتيجة لروح التسليم فيه.

● سبب التسليم لله سبحانه واضح، فهو تعالى ربّ العالمين: ﴿أسلمت لربّ العالمين﴾.

١٣٢ - ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ

---

* ـ داعية إسلامي معروف.

﴿اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

الرسائل:

- أنبياء اللّه العظام: إبراهيم، يعقوب، لا يموتون دونما وصيّة.
- إبراهيم أوصى نبيه، ويعقوب ابن اسحق أوصى أبناءه وهم الأسباط الاثنا عشر أن لا يموتوا إلاّ وهم مسلمون. والوصية الرسالية أهم من الوصية في المال والمتاع.
- الأنبياء العظام أوصوا بالإسلام، وهو التسليم للّه سبحانه، وهذا هو طريق كل الرسالات السماوية.
- طريق اللّه سبحانه الذي اختاره للبشر هو طريق الدين الإلهي: ﴿إن اللّه اصطفى لكم الدين﴾.
- أهم ما يحققه الإنسان في مرحلته الحياتية هو أن يموت وهو على طريق التسليم لربّ العالمين: ﴿فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾.
- زمان الموت ومكانة مجهولان، وليس بملك الإنسان أن يعينهما، ولكن يستطيع بإرادته أن يرسم لنفسه كيف يموت: ﴿فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾.

١٣٣ - ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

الرسائل:

● ﴿أم كنتم شهداء﴾ أي ما كنتم شهداء، وهي رسالة إلى من يدّعي قولاً أن يكون على بيّنة من أمره.

● اليهود في عصر الرسالة ادعوا بأن يعقوب أوصى بنيه باليهودية المحرفة الموجودة بأيديهم. والقرآن ينكر عليهم ذلك، ويوضّح مشهد الحوار بين يعقوب وبنيه.

● المسألة الحساسة التي كانت موضع اهتمام يعقوب في خطابه لبنية هي: ﴿ما تعبدون من بعدي﴾ والاتجاه في العبادة أهم مسألة في حياة الفرد والجماعة.

● أجابه أولاده: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق﴾، ذَكرَ الجدَّ (إبراهيم) والعم (إسماعيل) على أنهم آباء على ما جرى عليه العرب. وفي الإجابة رسالة على أن العبادة في كل الرسالات السماوية تتجه نحو إله واحد هو ربّ العالمين، ونحو التسليم له سبحانه: ﴿ونحن له مسلمون﴾.

١٣٤ - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الرسائل:

● هذه الآية الكريمة تقرر حقيقة هامة هي إن الإنسان مسؤول عن عمله، والجماعة البشرية هي التي تقرر مصيرها، ولا

علاقة لها بما فعله أسلافها من طاعة أو معصية. وكل ما سجّله إبراهيم وأولاده من مكاسب فهي لهم، ولكم يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم.

● الآية تنفي ما قاله المجبّرة بأن الأبناء مؤاخذون بذنوب الآباء، فلكل أمة ما كسبت.

١٣٥ - ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

الرسائل:

● مرّ علينا في الآية ١١٣ أن اليهود كانوا يقولون عن النصارى أنهم ليسوا على شيء، ونفس الكلام كانت تقوله النصارى عن اليهود، وهذه الآية تعيد نفس المفهوم، (أو) هنا للتفصيل، فالقول الأول: ﴿كونوا هودًا﴾ ليهود المدينة، والثاني لنصارى نجران. والآية تؤكد أن الفريقين ليسا على صواب، والصواب هو ﴿ملة إبراهيم حنيفًا﴾ وحنيفًا هنا حال من إبراهيم، أي مبتعدًا عن الأديان المنحرفة إلى الدين القيّم الخالي من شوائب الشرك.

● لا يجوز لفريق أن يدّعي احتكار الحقّ والهداية لنفسه دونما دليل وبرهان: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾.

● المهم في الدين الحقّ هو الابتعاد عن الشرك: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

● الآية تشير إلى وقوع أصحاب الديانتين في لوثة الشرك.

١٣٦ - ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

الرسائل:

● الآية تؤكد أن خط الأنبياء واحد، ودعوتهم جميعًا إلى الله الواحد الأحد، لذلك كان الإيمان بهم جميعًا واجبًا، سواء ما نزل على إبراهيم من الصحف العشر، أو مانزل على ولده: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ﴾ والأسباط هم ذرية يعقوب وكان فيهم أنبياء. وما نزل على ﴿موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون من ربهم﴾.

● في الآية رسالة إلى أهل الكتاب بأن ما في أيديكم هو غير ﴿ما أوتي موسى وعيسى﴾.

● الإيمان القلبي ﴿آمنا بالله﴾ لابد أن يقترن بالتسليم العملي ﴿ونحن له مسلمون﴾.

١٣٧ - ﴿ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

الرسائل:

● في الآية دعوة إلى أهل الكتاب لأن يرتفعوا في إيمانهم إلى إيمان المسلمين بكل الرسالات السماوية، ويبتعدوا عن الفئوية

واحتكار الحق: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ﴾.

● الآية تصرّح بأن مآل هذه الفئوية والإعراض عن التسليم لله هو الوقوع ﴿في شقاق﴾أي في نزاع مع الحقّ.

● النزاع مع الحقّ يؤدّي إلى فشل الجماعة المنازعة حسب السنن الإلهية: ﴿فسيكفيكهم اللّه﴾. والعبارة فيها تثبيت لقلوب المؤمنين في مواجهة أهل الباطل.

١٣٨ -﴿ صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾

الرسائل:

● الآية ترتبط بالإيمان بجميع الأنبياء والرسل، وتؤكد هذا الإيمان بأنه ﴿صبغةَ اللّه﴾ وهو دين الفطرة الذي يطبع كل حياة الإنسان بطابعه ويطهره من كل صبغة عنصرية أو قبلية أو ذاتية وأنانية.

● أفضل ما يصطبغ به الإنسان هو الاصطباغ بصبغة الله، فهي المنسجمة مع الفطرة، والثابتة الدائمة التي تحقق سعادة الدنيا والآخرة.

● مَنْ لم يتحلّ بصبغة الله يتلوّن بألوان مختلفة حسب مؤثرات البيئة، ويكون «إمّعة»، كيف ما كان الناس يكون معهم، ويفقد الموقف الرسالي الثابت.

● صبغة الله تجعل الإنسان يعبد الله الواحد الأحد ويبتعد عن الآلهة المزيفة: ﴿ونحن له عابدون﴾.

١٣٩ - ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾

الرسائل:

● الآية تستنكر على أهل الكتاب اعتراضهم على المسلمين بشأن نبوّة رسول الله(ص) وادعائهم بأن النبي يجب أن يكون من بني إسرائيل. وتؤكد أن الله سبحانه يجعل رسالته حيث يشاء: ﴿قُل أتحاجّوننا في الله﴾؟!

● الله سبحانه هو ربّ العالمين، وليس ربّ فئة دون أخرى: ﴿وهو ربّنا وربّكم﴾

● كل فئة تلقى جزاء ما تفعله دون تمييز: ﴿ولنا أعمالُنا ولكم أعالُكم﴾.

● وإذا كان ثمة تفاوت بين المجموعات البشرية فهو بالإخلاص في العمل: ﴿ونحن له مخلصون﴾.

● والجمل الثلاث أحوال، أي كيف تحاجوننا والحال أنه ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾؟!

١٤٠ - ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

الرسائل:

● هذه الآية أيضًا تنحي باللائمة على أهل الكتاب، لتعصّبهم تعصبًا يجعلهم ينسبون أنبياء الله إلى اليهودية أو النصرانية: ﴿أم تقولون﴾: أي بل أتقولون ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾؟! وهذه من نتائج التعصب الفئوي.

● الله سبحانه برّأ نبيّه إبراهيم من اليهودية والنصرانية والمذكورون معه تبع له:﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾؟!

● هؤلاء يرتكبون ظلمًا ما بعده ظلم، ويمكن أن يندرج تحت عنوان الظلم الثقافي، أي الانحراف بالأذهان عن الطريق الصحيح. فاليهود كتموا حقيقة حنيفية إبراهيم وعقيدته التوحيدية، كما جاء في التوراة: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ ﴾؟!

● مهما حرّف المحرّفون فإن الله يظهر الحقّ ويبطل الباطل لأنه المهيمن على كل أعمال البشر: ﴿ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

١٤١ -﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

الرسائل:

● تقدّم مثل هذا التقرير القرآني، فالجماعة البشرية هي التي تسجل سعادتها وشقاءها، والأسلاف لهم مكتسبات أعمالهم ولسنا مسؤولين عن أعمالهم.

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

من ندائه إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤١٩ هـ

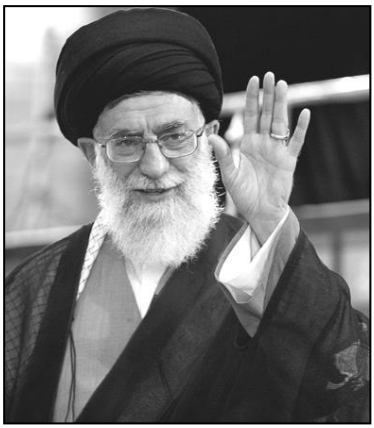

«العالم الإسلامي اليوم مصاب بآلام مزمنة. ولعلّ أهمّها الآلام العشرة: النزاعات السياسية والمذهبية، وضعف الأخلاق والإيمان، والتخلف العلمي والصناعي، والتبعية السياسية والاقتصادية، والثراء الفاحش والغرور إلى جانب الفقر والجوع والذلة، وضعف الثقة بالنفس وانعدام الأمل في المستقبل لدى القادة، وانزواء الدين وانعزاله عن السياسة والحياة، وعدم الابتكار في خلق المفاهيم الجديدة التي يشكل القرآن منبعها المستمر، والاستسلام أمام الهجوم الثقافي المفروض من الغرب، وأخيرًا: مصادرة عزّة المسلمين بسبب رضوخ بعض القادة السياسيين للذلة وانغماسهم في الأطماع.

هذه الأمراض التي نتج بعضها من بعض، ونتجت جميعًا على مرّ الزمان من خيانة العناصر الداخلية وضعف إرادتها وجهلها

واستبدادها، أو من عداء الأجانب وشيطنتهم وظلمهم، أنزلت بالأمة الإسلامية أوجع الضربات.

تخلف العالم الإسلامي إنما هو نتيجة لهذه الأمراض، والنجاة منها هو الطريق الوحيد للسعادة والفلاح.

ثروات العالم الإسلامي الطبيعية تتعرض للنهب، وذخائرهم الثقافية والفكرية القيّمة محجوبة عمدًا تحت ركام إعلام الغزاة الثقافيين، كفاءاتهم وأدمغة شبابهم تتعرض للسرقة، وقواهم تتهاوى في الصراعات العسكرية والسياسية، اللامبالاة والتحلل الخلقي والاعتقادي يتسرب إلى داخل حياة الشباب وقاعات درسهم وصالات رياضتهم مثل ماء آسن، عن طريق أحدث وسائل الارتباطات. وثرواتهم النفطية تتجه باستمرار لزيادة ثروات الشركات الأجنبية وقابضي الضرائب الأجانب، وبدلاً من أن تملأ جيوب أصحابها تتجه إلى ملء جيوب أعدائهم. وفي قلب العالم الإسلامي وفي أطراف وأكناف آسيا وأفريقيا وأوربا تنزل سياط الظلم وغضب الكفار على جسد ملايين المسلمين، وتحترق فلسطين ولبنان في نيران قسوة الصهاينة... وكل هذه الآلام والأوجاع لا تحرك السياسيين ورجال الدين ومثقفي الأمة الإسلامية للبحث عن علاج.

وهذا يحدث في وقت تتوفر في كل مكان إمكانات هائلة لإحلال وضع جديد واعد، ويمكن مشاهدة الآليات والدوافع

اللازمة للتغيير بوضوح في البلدان الإسلامية جميعها. لا نشاهد بلدًا إسلاميًا إلاّ ونشاهد في شبابه مشاعر فيّاضة ودوافع إسلامية، كما نشاهد لدى أغلب الناس التزامًا عميقًا إيمانيًا، وقلقًا تجاه الأوضاع القائمة وأملاً في المستقبل الإسلامي. ما يمكن أن يحول في الدرجة الأولى دون تفعيل هذه الإمكانيات هو أن القدرة السياسية داخل البلدان لا تتحرك في اتجاه هذه الآمال والتطلعات. والحكومات في حالات ــ بسبب ضعفها أو تبعيتها أو بسبب خصلتها الاستبدادية والعدوانية تجاه شعبها ـ غير قادرة على أن تنسجم وتتعاون مع الآمال الإسلامية الكبيرة للجماهير.

من جهة أخرى هؤلاء غافلون عن عظمة العالم الإسلامي وقدرة تأثيره على الساحة العالمية، ونتيجة لذلك يرى كل شعب أنه وحيد تجاه ضغوط القوى المعادية للإسلام، ويرى عدم إمكان مواجهة هجومهم السياسي والإعلامي والعسكري.

وأخيرًا فإن التجربة العملية والعينية لحاكمية الإسلام في عصرنا الراهن، أعني الجمهورية الإسلامية الإيرانية، هي من جهة أخرى محجوبة خلف غبار غليظ من الإعلام المعادي، ومئات الوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية والمقروءة، وآلاف الأدمغة والأقلام الأجيرة تسعى باستمرار إلى قلب الحقائق وتضخيم مواضع الضعف والفشل وإنكار ما حققته من نجاحات وتطورات.

لو أن المسلمين يعرفون قدر الحج، ويستثمرون هذا التجمع

السنوي بشكل صحيح، فإن جانبًا مهمًا من حصار اليأس وتلقين الضعف الذي يلفّ الشعوب سوف ينهار.

موسم الحج يستطيع أن يضع عظمة عالم الإسلام وتنوعه واقتداره المعنوي والإنساني كل عام أمام أنظار القادمين من جميع البلدان الإسلامية، ويُقيم الارتباط والتعارف وتبادل وجهات النظر بين هذه المجاميع. في الحج تستطيع كل الشعوب أن تحصل على الأخبار الحقيقة لإخوتهم وتخترق الحُجُب الإعلامية المغرضة لأعداء العالم الإسلامي، وبالاستفادة من الجو المعنوي لبيت الله الحرام تستطيع أن تُعدّ نفسها لحركة منسجمة ومخلصة على طريق العودة إلى حاكمية الإسلام، وكسب العزّة والاستقلال والسعي لتطوير أساسي في بلدانهم.

إقامة حاكمية الإسلام في البلدان الإسلامية ولادة مباركة لكنها مقرونة طبعًا بآلام المخاض، والمرحلة التالية، وهي المحافظة على الوليد وتغذيته ماديًا ومعنويًا ومراقبة نموّه وتكامله المستمر، أمر صعوبته أكثر والجهاد في سبيله أطول.

في إيران واجه هذا المولود أنواع المواقف العدائية الصريحة والخفية، وهو الآن – بحمد الله – في دورة استقلاله وثباته ورشده. طبعًا، عواصف الخصومة التي توجهها أخبث المراكز الاستكبارية والمعادية للإسلام لا تزال تحيطه من كل جانب. هذه الظاهرة التي ولدت بعد انتظار طويل، بسبب كونها أول نموذج

من نوعه في العالم المعاصر، ولأنها كانت تستطيع أن تكون قدوة لبقية البلدان، وكانت تهديدًا لمصالح أمريكا والصهيونية وقوى النهب العالمية الأخرى في أرجاء العالم الإسلامي، لذلك كله أصبحت معرضًا لعداء غاضب منفعل من قبل كل مراكز طلاب الهيمنة العالمية.

الاستفزازات القومية داخل البلد كانت أول حركة الأعداء، وثم تفعيل مجاميع عملاء النظام السابق، والتجهيز لانقلاب عسكري، ودفع بلد مجاور لشن هجوم على ألف وثلاثمائة كيلومتر من الحدود المشتركة، كانت الحركات العدوانية التالية التي كان كل واحد منها بمفرده قادرًا على اقتلاع دولة وطنية، لكن الجمهورية الإسلامية لم تكن دولة وطنية فحسب، بل هي بناء يتشكل من كل أفراد شعب مؤمن ذي دوافع إيمانية عميقة. حرب ذلك الحاكم الخائن المجاور استمرت ثماني سنوات، **ومع أن المساعي الأمريكية المغرضة استطاعت أن توغر صدور بعض جيراننا وتجعلهم يسيئون الظنّ بنا، وتجعل المساعدات الطائلة تتدفق على المعتدي، غير أن الذي أشعل نار الحرب قد أُنهك، وانسحب من حدودنا مندحرًا بخفي حنين.**

خلال مدة واحد وعشرين عامًا من عمر الجمهورية الإسلامية جنّدت الإمبراطورية الإعلامية نفسها ضدنا، ولجأت إلى مختلف الأساليب لتعبئة الرأي العام العالمي في مواجهة الحكومة

الإسلامية، وسَعَت السياسة الخارجية والأجهزة الأمنية الأمريكية بدعم من الرأسماليين الصهاينة لغرض حصار اقتصادي ولمعارضة السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية ما وسعها ذلك. وفي أرجاء العالم تسعى عشرات المجموعات الإرهابية أو مجموعات المأجورين السياسيين من باعة الوطن الخائنين إلى القيام بعمليات تخريبية بدعم مالي وإسناد من الأعداء، ومئات الشهداء العظام الخالدين سقطوا نتيجة جرائم هؤلاء العملاء، فسالت دماؤهم لتسجّل صفحات أخرى من تاريخ ثورتنا ومقاومتها المظلومة.

باختصار، أكثر من عشرين عامًا يواجه المولود المبارك للثورة الإسلامية أعني نظام الجمهورية الإسلامية حربًا تشنها جبهة العدو وعلى رأسها أمريكا والصهيونية، بكل قوة، وبكل التدابير، وبكل الجهود.

وعلى الرغم من هؤلاء، لم يفقد نظام الجمهورية الإسلامية خلال أكثر من عشرين عامًا لحظة واحدة دون أن يسجّل فيها نموًا وتكاملاً وثباتًا، واليوم هو أقوى من أي وقت مضى، ويرفع نداء الإسلام والوحدة الإسلامية والعزّة الإسلامية التي تبعث على اضطراب الأعداء وانزعاجهم، بالقوة وبالدافع نفسه الذي كان في بداية الثورة.

بعد إحدى عشرة سنة من رحيل المعمار والمؤسس لهذا البناء الإمام الخميني العظيم تتجه الجمهورية الإسلامية باتجاه الهدف

نفسه الذي رسمه وتتحرك على الطريق نفسه الذي اختطه.

يعود الفخر في هذا الثبات والاقتدار إلى الإسلام ذاته وتعاليمه التي توضح الطريق وتبعث على العزّة، ويعود ثانيًا إلى الشعب الإيراني الذي سار بإيمان على الطريق الإسلام وقدم بإخلاص ألوان التضحيات وصان بصبر المكتسبات.

لو لم يكن فينا نحن المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية من ضعف وتقصير وغفلة مبررة أو غير مبررة، فإن الجمهورية الإسلامية ببركة الأحكام والمعارف الإسلامية كانت قد تجاوزت قَدَرًا أكبر مما في طريقها من عقبات، ولكانت أقرب مما عليه اليوم من الأهداف.

المكر الإعلامي الاستكباري، اليوم كما كان دائمًا، يسعى إلى الإيحاء بأن الشعب الإيراني والدولة الإسلامية قد أعرضوا عن الأهداف المرسومة. هذه كذبة رذيلة هدفها بثّ اليأس في قلوب عشاق حاكمية الإسلام في أرجاء العالم، وارتخاء همّة الشباب في داخل بلادنا.

على طريق هذا المكر الاستكباري، نرى قادة الاستكبار، بعد إجراء واحد وعشرين استحقاق انتخابي لمجلس الشورى الإسلامي، يعربون عن سرورهم اليوم لحضور ما يسمونه بالديمقراطية في إيران! يصعب عليهم الاعتراف بالمشاركة الشعبية في جميع الأعوام التي تلت انتصار الثورة الإسلامية.

يصعب عليهم الاعتراف بأن انتخابات بهذه الحرارة والسعة نفسها قد جرت في انتخاب نواب المجلس في دورته السابقة قبل أربعة أعوام، وفي انتخاب رئيس الجمهورية قبل ثلاثة أعوام.

هؤلاء يؤملون أنفسهم عبثًا بأن معارضي حاكمية الإسلام والراغبين في إعادة سلطة الاستكبار على إيران قد يجدون الطريق إلى مراكز القدرة. هذا هو سوء الفهم والأمل الواهي الذي أدّى بأمريكا وعملائها مرارًا إلى الهزيمة في تحديها لقوة الإسلام العظيمة وإرادة الشعب الصلدة.

وأنا باعتمادي واتكالي على الله العزيز الحكيم، وبإيمان عميق لا يتزلزل بأحكام الإسلام النيّرة التحررية، وبمعرفة كاملة بالشعب الكبير الذي انبثقتُ منه وقضيتُ عمري معه وبلغت آخر سنوات عمري عاشقًا له، **أطمئن الأصدقاء وهكذا الأعداء أن هذا الشعب سوف يطوي طريق الإسلام حتى يبلغ أهدافه الكبرى، وسوف يُثبت للجميع بأن العزّة والتكامل والتقدم المادي والمعنوي، وبلوغ مستوى الكرامة الإنسانية تكون فقط بالعمل الشامل بالإسلام والقرآن».**

الجيل الشاب
كما يريده الإسلام

محمد علي التسخيري*

إن أمتنا ما فتئت تواجه التحديات الكثيرة التي تستهدف كل مقوماتها التي تتميز بها شخصيتها.

ومن هذه المقومات حالاتها التعليمية والإعلامية والثقافية ذلك أن تعليمنا وتربيتنا فرض عليه الابتعاد عن الاسس التعليمية الإسلامية التي تحاول أن تفجر الطاقات الفطرية في النفس الإنسانية، وتسير به نحو كماله المنشود، عبر النظر بمنظار القرآن والسنة والتأدب بآدابهما، والتشبع بمفاهيم التصور الإسلامي.

أما الإعلام فهو بدوره ابتلي بآفات الإعلام المادي الغربي الذي تسوده عناصر الإثارة والمبالغة، والاستغلال، واللاخلقية، والتهمة وستر الواقع. وكلها تبتعد عن الصفات القرآنية للإعلام الحق.

---

* ـ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وقل ما تشاء عن العملية الثقافية التي كانت تقرأ الحياة دائمًا باسم الله، وتمتلك مرجعيتها الأصيلة الضابطة لكل المقولات الثقافية.

ومن هنا ونحن نعيش عصر انبعاث الصحوة الإسلامية على المسؤولين في كل هذه المجالات أن يخططوا للعودة للماضي عودة غير تراجعية وإنما هي كمثل العودة إلى القواعد الحصينة ثم الانطلاق إلى المستقبل برؤية أوضح، وهمة أكبر، ومعاصرة متوازنة.

وإذ نركز على العملية التربوية للجيل الشاب يجب علينا أن نعيد له أسس شخصيته كما أرادها الإسلام وحددها الرسول الأكرم(ص) وقد اهتم(ص) بهذا الأمر غاية الاهتمام، وسلك لتحقيقه مختلف السبل.

المسلم الشاب كما يريده رسول الله(ص)

ولقد ركز الإسلام على عناصر الشخصية الإنسانية، وأراد له أن يكون متوازنًا متعادلاً في نظرته عن الواقع وموقفه منه، منسجمًا في شخصيته، تتطابق عقيدته وعواطفه وسلوكه، مستفيدًا من كل فرصة تتاح له خير الاستفادة. فإن الفرص لا تتوفر دائمًا لتغير الأحوال والحالات والامكانات.

وقد روي عن علي(ع) قوله: «بادر شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك»(غرر الحكم ، ح ٤٣٨١).

وكذلك قوله(ع): «ما أقرب الدنيا من الذهاب والشيب من الشباب»(ن . م ح ٩٦٨٩) .

ومن هذه الفرص مرحلة الشباب بما فيها من قوة وجمال وصفاء نفس وتفتح على الحياة وكانها تماثل مرحلة الربيع في الطبيعة. إنها المرحلة التي تبنى فيه الشخصية بكل جوانبها العقائدية والعاطفية والتربوية في إطار من التعقل السليم، والتربية المتأصلة في النفس ولذلك يركز الإسلام عليها:

وقد روى عنه(ص):

«والتوبة حسنة لكنه في الشباب أحسن» (مجموعة ورام ، ج٢، ص ١١٨) .

وقوله(ص): «إن الله يظل الشباب الناشئ في عبادة الله بظله» (مجمع البيان ، ج٢، ص ٣٨٥) .

وقوله (ص): «من تعلم القرآن في شبيبته اختلط بلحمه ودمه» (كنز العمال ، ج ١، ص ٥٣٢) .

وقوله (ص): «إن الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في طاعة الله»(كنزل العمال، ج ١، ص ٧٧٦) .

نعم أراد الله أن يكون الشباب قوة وجمالاً في الباطن كما هو كذلك في الظاهر:

يقول الامام العسكري(ع) وهو أحد أئمة اهل البيت(ع): «حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن»(بحار الأنوار: ج١، ص ٣٢) .

ويصف الرسول الزهراء فاطمة فيقول: «إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانًا حتى مشاشها»(بحار الانوار: ج ٤٣، ص ٤٦).

[والمشاش هي رؤوس العظام اللينة] ومثله «ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه»(رواه النسائي وابن ماجه).

ونحن نجد في قصة النبي يوسف (عليه السلام) انسجامًا رائعًا بين الجمال البدني ﴿حاش لله ماهذا بشرًا إن هذا الا ملك كريم﴾ (يوسف/ ٣١). والجمال الخلقي. فهو العبد الشاب الصالح في مواقفه المتنوعة الداعي إلى ربه حتى وهو في سجنه ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار﴾ (يوسف/ ٣٩). وهو الشاب الصابر والممتنع عن المعصية مهما كان الاغراء: ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف/ ٢٣). وتبقى شخصيته ثابتة منسجمة حتى بعد أن صار حاكمًا قويًا ليقول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف/ ١٠١).

وسائل الإسلام التربوية لتأكيد هذه الصورة

وقد استخدمت النصوص الإسلامية شتى الوسائل لتأكيد

الحقيقة الآنفة ومنها مايلي:

اولاً: التوجيه المباشر في النصوص حيث يتم حث الشباب على تأصيل العقيدة في النفس ، وربط العواطف بالعقيدة وبالتالي الانطلاق في السلوك من هذين المنبعين (العقيدة والعاطفة). وهذا ما نلاحظه في تعليمات لقمان لولده: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ، يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ، وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان/ ١٣ – ١٩).

وفي وصية أمير المؤمنين لولده الحسن بن علي(ع)، وهي من أروع الوصايا: حيث تعرض فيها الإمام من جملة ما تعرض إلى قضايا كثيرة وهذه مقاطع من الوصية:

«فإني أوصيك بتقوى الله – أي بني – ولزوم أمره، وعمارة

قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به».

«أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلّله بذكر الموت، وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا».

«فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك».

«وأمر بالمعروف تكن من أهله وانكر المنكر بيدك ولسانك».

«يا بني اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك.

فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها».

ولا تظلِم كما لا تُحِبّ أن تُظلم»(نهج البلاغة من ص ٣٩١، إلى ص ٤٠٦).

ثانيًا: التأكيد على قيمة التحلّي بهذه الصفات فقد ذكرت النصوص نتائج رائعه لذلك:

ومنها قوله(ص) «ان الله يظل الشاب الناشئ في عبادة الله بظله» (مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٨٥).

وقوله (ص): «ان الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في طاعة الله تعالى» (كنز العمال ، ج ١٥، ص ٧٧٦).

وقال الإمام الباقر(ع) «كان أبي زين العابدين(ع) إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم اليه وقال: مرحبًا بكم أنتم ودائع العلم ويوشك اذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين» (الدر النظيم ، ص ٥٨٧).

ثالثًا: تقديم النماذج السامية لذلك من خلال الأنبياء وقد أكدت بعض النصوص أن الانبياء بعثوا في مرحلة الشباب من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (يوسف/٢٢).

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الانبياء/ ٦٠).

وعنه (ص): «ما بعث الله نبيًا إلا شابًا»(كنز العمال، ج ١، ص ٤٧٥) .

وعنه (ص): «ما بعث الله نبيًا إلا وهو شاب ، ولا أوتي علم عالمًا إلا وهو شاب»(الفردوس ، ج ٤ ، ص ٨٢) .

وعنه(ص) «يا بني عبد المطلب: اني والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة»(الامالي للطوسي، ص ٥٨٣.).

وما اكثر السلوكات النموذجية للأنبياء عليهم السلام فهذا الفتى إبراهيم(ع) يقول عنه القرآن: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(الانبياء/ ٥١ – ٥٤) .

وإبراهيم نموذج الموحد الواله الصابر الثابت على الإخلاص المضحي المتبرئ من الشرك العائذ بالله الأواه الحليم المنيب. وهذا إسماعيل(ع) الشاب المؤمن الذي يعلن أنه ان صبر على الفداء

فذلك بأمر الله : ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات/ ١٠٢).

وهذا يوسف(ع) يقول عنه تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(يوسف/ ٢٤).

وهذا موسى (عليه السلام) لا تغره القوة بل يصنع الخير ويعلن لله فقره: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إلى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(القصص: ٢٤).

وهؤلاء الفتية من أصحاب الكهف يرفضون مجتمعهم الكافر﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾ (الكهف/ ١٣).

وأروع أسوة سيدنا محمد (ص) النبي الامين حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الاحزاب/ ٢١).

وقد روي عنه قوله: «أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى»(معاني الاخبار: ص ١١٩).

وقد جمع(ص) كل الصفات الحميدة حتى قال فيه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/٤).

رابعًا: ومن الأساليب التأكيد على مسؤولية الشاب الخاصة عن شبابه:

فقد روي عنه(ص) قوله:

«إن العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما

أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه»(رواه الترمذي باب القيامة وراجع تاريخ اليعقوبي، ص ٥٩ وغيره).

وعن الامام علي قوله: «من لم يجهد نفسه في صغره لم ينبُل في كبره»(غرر الحكم، ح ٨٢٧٢).

خامسًا: وقد قلد رسول الله(ص) بعض الشباب مناصب عليا تأكيدًا على فضل أصحابها الشبان ومنهم:

١ـ مصعب بن عمير حيث بعثه – وكان فتىً حدثًا – ممثلاً عنه إلى المدينة قبل الهجرة ليعلمهم القرآن. وهو أول من جمع الجمعة في المدينة(بحار الأنوار، ج ١، ص ٤٠٥، وأسد الغابة، ج ٤، ص٣٦٩).

٢ - عتاب بن أسيد ولاه مكة بعد الفتح في حنين وكان عمره ٢١ عامًا(السيرة الحلبية ، ج ٣، ص ١٢٠) .

٣ - أسامة بن زيد ولاه قيادة جيش عظيم لحرب الروم وفيه المهاجرون والأنصار وكان عمره ١٨ عامًا.

٤ - علي بن أبي طالب(ع) وقد استخلفه على المدينة حين خرج في تبوك قائلاً له: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»(المراجعات ، ص ١١٧، وهو حديث مشهور أخرجه البخاري وغيره) .

٥ - معاذ بن جبل جعله (ص) في عام الفتح معلمًا للفقه والسنن(السيرة الحلبية ج ٣، ص ١٢٠) .

سادسًا: نفّرت النصوص من الشاب المنحرف كما في قضية

موسى والعبد الصالح الذي قضى على فتىً يضل أبويه الصالحين(الكهف : ٨٠) .

سابعًا: كما حثّ المجتمع والأبوين بشدة على ابتغاء الولد الصالح وتربيته ومساعدته على النشأة الصالحة ، وعدم دفعه للعقوق.

فقد ورد عن رسول الله(ص) قوله: «لعن الله والدين حَمَلا ولدهما على عقوقهما»(شباب قريش ص ١) .

وعنه (ص): «أوصيكم بالشبان خيرًا فإنهم أرق أفئدة» (الوسائل ج ٥ ص ١١٥).

ثامنًا: دعا الإسلام الشاب إلى اختيار الأصحاب المتخلقين بالخلق الحسن واجتناب المنحرفين:

فهذا علي بن الحسين(ع) يقول لبعض بنيه: «إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، والفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك، والبخيل فإنه يخذلك في مالٍ أحوج ما تكون إليه، والأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك، والقاطع لرحمه فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله» (تحف العقول ص ٢٧٩).

وهكذا يعمل الإسلام على صناعة جيل شاب صالح، يحمل الأمانة الإلهية إلى من بعده، ويحقق مقتضيات الخلافة بكل قوة وصلابة.

الخطاب الديني
والتحديات الداخلية

حسن الصفار*

● دعاة التشدد والغلو يستثيرون عواطف العامة ● ينبغي إنتاج خطاب يساعد على الانفتاح والحوار الودي مع الآخر ● الأمة أشد حاجة اليوم إلى ثقافة العلاقة الإيجابية مع الآخر الداخلي ● إن خطر توجهات الغلو كبير على مستقبل الإسلام والأمة ● هناك خطباء متمرسون في إذكاء الخلافات الطائفية ، ومحترفون لإثارة الكراهية والبغضاء بين أبناء الأمة.

كان التحدِّي الأكبر أمام الخطاب الإسلامي في حقب ماضية هو مواجهة التيارات المناوئة للإسلام. ففي بدايات القرن التاسع عشر الميلادي أدرك دعاة الإسلام خطر حملات التبشير التنصيري التي واكبت الاحتلال الأوروبي للبلاد الإسلامية ، وكان إلى جانبها نشاط استشراقي مكثف يهدف إلى تشكيك المسلمين في

* - عالم من المملكة العربية السعودية.

دينهم ، وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم ، وسيرة النبي، والمفاهيم والتشريعات الإسلامية ، طفحت به كتب كثير من المستشرقين ودراساتهم. فانبرى المخلصون الواعون من علماء الأمة بألسنتهم وأقلامهم وأرواحهم لردّ هذه الهجمات العاتية ، وبذلوا قصارى جهدهم للوقوف أمام تلك الموجات العارمة ، رغم محدودية إمكاناتهم قياسًا بقدرات الغزاة الذين يستندون إلى ميزانيات ضخمة ، وهيمنة عسكرية سياسية ، ومراكز أبحاث وتخطيط.

وفي العقود الأولى من القرن العشرين للميلاد ، كانت هناك معركة أخرى تنتظر دعاة الإسلام ، هي أشد شراسة من حملات التنصير وشبهات الاستشراق ، وهي مواجهة المدّ الشيوعي والتيارات العلمانية المناوئة للدين. ذلك أن معظم التيارات العلمانية التي ظهرت في البلاد الإسلامية ، أخذت منحى المحاربة والمناوأة للدين، بخلاف معظم تيارات العلمانية في الغرب التي التزمت الحياد تجاه الدين.

الخطاب الإسلامي يواجه تحديات هي الأخطر على مستقبل الإسلام والأمة.

فقد استثمرت هذه التيارات المناوئة أرضية السخط والرفض للواقع السيئ المتخلف لدى جماهير الأمة ، وتبنت شعارات الثورة والنهوض ، داعية إلى التنكر للدين والتخلص منه ، لأنه يتحمل مسؤولية تخلف الأمة وانحطاطها. وتمكنت هذه التيارات من

استقطاب شرائح من أبناء الأمة ، ووصلت إلى مواقع السلطة والحكم في عدد من البلدان العربية والإسلامية ، عبر الانقلابات العسكرية ، والتنظيمات الحزبية.

فكانت المعركة عنيفة قاسية في بعديها الفكري والسياسي، حيث عانى دعاة الإسلام من قمع الأنظمة التي انبثقت من هذه التيارات المناوئة.

و ما كاد ينتهي القرن العشرون حتى انحسر مدّ تلك التيارات، وظهرت طلائع الصحوة الإسلامية ، وارتفعت رايات الإسلام في كل مكان، إذ استعادت جماهير الأمة ثقتها بدينها ، بعد أن وجدت تلك التيارات ﴿ ....كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ... ﴾، وهكذا بدأ عصر الإسلام من جديد.

و هناك تحديات خارجية لا تزال قائمة أمام الخطاب الإسلامي، وفي طليعتها الحرب الإعلامية الثقافية الطاحنة على الإسلام ، بوصفه دين إرهاب وعنف ، التي تجاوزت كل أعراف وتقاليد العلاقات بين الأديان والحضارات والأمم ، كما تمثل ذلك في الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، التي نشرتها صحيفة دنماركية ثم أعادت نشرها هذا العام عدد من الصحف في الدول الأوروبية ، في تحدٍّ سافر لمشاعر المسلمين ، وإساءة صارخة لدينهم وهويتهم.

لكن مثل هذه التحديات الخارجية ليست على درجة كبيرة من الخطورة تستلزم وضعها على رأس التحديات وأولويات المهام أمام الخطاب الإسلامي.

إنني أعتقد أن الخطاب الإسلامي يواجه الآن تحديات داخلية هي الأهم والأخطر على مستقبل الإسلام والأمة. فلا بد من الاستجابة لها والارتقاء إلى مستوى مواجهتها

و لعل من أبرز وجوه هذه التحديات ما يلي:

أولاً : إنتاج ثقافة التنمية والبناء:

فقد برع الخطاب الإسلامي في تعبئة جماهير الأمة ضد الأعداء، وضد واقع الفساد والانحراف ، وتلك مهمة هدم وتقويض.

ولكن ما البديل الذي يجب أن تتجه الأمة لبنائه على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وبناء المعرفة وتنمية الأخلاق؟ وكيف يقود الإسلام معركة التنمية والبناء ؟

هذا ما يحتاج إلى إجابة معمقة تتضمن برامج عمل ، وآليات تنفيذ ، وثقافة حركة وإدارة.

ثانيًا : العلاقة الإيجابية مع الآخر:

المصالح في عالم اليوم متشابكة والصراع والنزاع ليس هدفًا ولا استراتيجية دائمة ، وإنما هو ضرورة بمقدار مواجهة العدوان. كما أن الإسلام رسالة خير ورحمة للبشرية جمعاء.

من هذا المنطلق لا بد من إنتاج خطاب يساعد على الانفتاح والحوار مع الآخر ، ولابد من نشر ثقافة دافعة لصنع العلاقات الإيجابية مع الغير ، ولتجاوز آثار مراحل الصراع والنزاع.

دعاة الإسلام عانوا من قمع الأنظمة التي انبثقت من التيارات المناوئة.

صحيح أن هناك اعتداءات لا تزال قائمة ضد الإسلام والأمة ، لكن المطلوب حصر المواجهة والصراع مع الجهات المباشرة للعدوان دون استعداء للعالم كله ، وتعميم الصراع على مستوى الأديان والحضارات.

و الأشد إلحاحًا حاجة الأمة إلى ثقافة العلاقة الإيجابية مع الآخر الداخلي ، حيث لا نزال نعيش آثار الصراعات القديمة التي حصلت بين الأسلاف في القرون الأولى لتاريخ الأمة ، والتي تتفجر اليوم على شكل فتن ونزاعات طائفية. كما لا يزال التنوع القومي والقبلي عائقًا أمام الوحدة الوطنية ، والاستقرار السياسي، في عدد من البلدان العربية والإسلامية.

ثالثًا : ترشيد التوجهات والممارسات الدينية:

فالإقبال على الدين ، وارتفاع المعنويات في أوساط المتدينين ، قد يدفع باتجاه الغلو والمبالغة في التوجهات والممارسات الدينية ، خاصة وأن في تراث الأمة بمختلف مذاهبها ما يغذي مثل هذه الاتجاهات.

كما أن بعض القوى الدينية التقليدية التي لا تمتلك مشاريع للتنمية والنهوض ، قد تسعى لدغدغة مشاعر العامة ، وعواطفهم الدينية ، لتعزيز نفوذها ومواقعها ، في مقابل صعود قوى الإصلاح والتطوير.

وليس مستبعدًا أن تدخل على الخط بعض الجهات الخارجية ، أو بعض القوى المصلحية في الداخل لتشجيع اتجاهات المبالغة والغلو في الأوساط الدينية.

إن خطر توجهات الغلو كبير على مستقبل الإسلام والأمة ، ولذلك حذّر الله تعالى الأمم السابقة من الغلو في الدين ، يقول تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ....﴾ .

و تتمثل أهم مظاهر خطر الغلو في النقاط التالية:

أ ـ تحريف المفاهيم ، وإفراغ الأحكام الشرعية من مضامينها ، والابتعاد عن مقاصد الدين وأهدافه ، وإشغال الأمة بحالة طقوسية فارغة ، تستنزف الجهود ، وتصنع حالة من الإشباع الكاذب ، والشعور الزائف بأداء الواجب نحو الدين.

ب ـ الاستغراق في الجوانب الغيبية على حساب العقل ومراعاة السنن الإلهية للطبيعة والحياة ، مما عزَّز حالة التواكل والكسل، وعدم البحث الموضوعي والمعالجة الواقعية لمشكلات الحياة ، وفتح المجال أمام أسواق الشعوذة والدجل ، التي تدّعي

القـدرة علـى تقـديم مختلـف العلاجـات للأمـراض الجسـمية ، والمشكلات النفسية ، والقضايا الاجتماعية.

ج ـ تشجيع التطرف والتشدد تجاه الآخر الخارجي والداخلي ، انطلاقًـا مـن تفاصـيل الخلافـات العقديـة والتاريخيـة ، وإغفـال مساحات الالتقاء والاشتراك ، لقد أصبح عندنا خطباء متمرسون في إذكـاء الخلافـات الطائفيـة ، ومحترفـون لإثـارة الكراهيـة والبغضاء بين أبناء الأمة ، وقد منحتهم القنوات الفضائية أفضل الفرص لرفع أصواتهم وبث سمومهم في مختلف الأرجاء.

د ـ ممارسـة الإرهـاب الفكـري تجـاه أيِّ رأي مخـالف واتهامـه بالمروق والابتداع ، مما يوقف حركة الاجتهاد ، ومسيرة التطوير والتجديد.

إن هـذه التحـديات الداخليـة توجـب علـى العلمـاء والـدعاة المـدركين لهـا أن يوجهـوا خطـابهم واهتمـامهم نحـو مواجهتهـا ، وتبصـير جمـاهير الأمـة بمـا يخـدم مصـلحتها ، ويصـون رسـالتها الإسلامية العظيمة عن عبث الغالين والمتزمتين.

و لاشك أنها مهمة شاقة تكتنفها صعوبات بالغة ، لأن دعاة التشـدد والغلـو يسـتثيرون عواطـف ومشـاعر العامـة الدينيـة ، ويستندون إلى آراء وتبريرات لها جذورها في التراث المذهبي لمختلف الطوائـف والمـذاهب ، ويظهـرون أنفسـهم حمـاة للعقيـدة وحراسًـا لشعائرها ، ولا يتورعون عن التشكيك في دين من يختلف معهم ولو في أدنى التفاصيل.

الدعوة على بصيرة:

لقد تحدث النبي بأمر الله تعالى له ، عن أهم سمة لمنهجه في الدعوة إلى الله ، وهي امتلاك البصيرة ، يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

والبصيرة من البصر والإبصار ، فكما يحتاج الإنسان إلى حاسة البصر ليرى الأشياء المادية في هذه الحياة ، وليتمكن من السير في طرقها متلافيًا الضياع والوقوع في الحفر والمزالق ، كذلك يحتاج إلى المعرفة والوعي لتقويم الآراء والأفكار ، والتمييز بين مسالك الخير ومهاوي الشر والفساد. وتلك هي البصيرة.

وكون الداعي على بصيرة في دعوته يعني أمرين:

الأول : اطمئنانه للفكرة ووضوحها عنده ، حيث لا يصلح للداعي أن يطرح فكرة لم يجتهد في بحثها ، ولم يتأكد من صحتها ، ولا ينبغي له أن يجترّ في خطاباته طرح ما هو سائد ومتناقل دون تحقيق وتمحيص.

ومن المؤسف جدًّا أن تجد بعض العلماء والدعاة ينقلون للناس روايات تاريخية ، وآراء عقدية ، ومسائل ذات تأثير في أذهان الناس وسلوكهم ، قبل أن يكلفوا أنفسهم عناء التأكد من صحة تلك النقولات ، اتكالاً على ما سمعوه من خطباء آخرين ،

أو أخذًا من مصادر غير معتمدة ، أو استجابة لرغبة المستمعين.

إن وسائل البحث وأدوات المعرفة أصبحت متوفرة ومبذولة ، فلا عذر للمقصرين والمتقاعسين.

الآخر : معرفة الواقع الخارجي الذي تلامسه الفكرة المطروحة، فليست كل فكرة صحيحة صالحة للعرض في كل زمان ومكان ، ولعل المقصود بالحكمة في الدعوة في نص الآية الكريمة : ﴿ ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ... ﴾ هو اختيار القول المناسب للموقع المناسب.

من هنا يحتاج الدعاة في كل مجتمع إلى تقويم ظروف مجتمعهم ، ودراسة أوضاع البيئة التي يتحركون فيها ، لينطلق خطابهم الديني من خطة مدروسة ، وليركزوا على الأولويات.

و قد تحدث العلامة الشيخ عبدالله العَلَمي الغزّي الدمشقي أستاذ دروس التفسير في الجامع الأموي بدمشق المتوفى سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م حول هذه الآية الكريمة: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾ في كتابه القيم (مؤتمر تفسير سورة يوسف) فقال تحت عنوان «أكثر دعاة أهل اليوم هم على غير بصيرة»:

«النبي عليه الصلاة والسلام ، كان يدعو إلى الله على بصيرة، وهكذا خلفاؤه وعلماء السلف والأئمة المجتهدون وسائر العلماء الصالحين ، ولكن من المؤسف ، أن أكثر دعاة أهل اليوم ، هم على غير بصيرة ، لأنهم مزجوا الدخائل بعقائد الدين ، وأدخلوا

البدع والأخلاق الرديئة في العوائد الإسلامية ، وعلّموا الجهال تعاليم خادعة ، لبِّست الغيّ بالرشاد ، كما علموهم التأويلات الباطلة ، التي شبهت الحق بالباطل، حتى صار الجبر «توحيدًا» ، وإنكار الأسباب « إيمانًا» وترك الأعمال المفيدة « توكلاً » ومعرفة الحقائق « كفرًا وإلحادًا» وإيذاء المخالف في المذهب «دينًا» والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات «صلاحًا». واختبال العقل وسفاهة الرأي « ولاية وعرفانًا » والذلة والمهانة « تواضعًا » والخنوع وقبول الضيم « رضى وتسليمًا » والتقليد الأعمى لكل متقدم « علمًا وإيقانًا».

هذا ما كتبه الشيخ الجليل قبل ثمانية عقود من الزمن عن دعاة عصره ، فهل دعاة اليوم أفضل حالاً من أولئك ؟ هذا ما نأمله ونرجوه.

لا تتوقعوا أن تقف القوى العالمية الكبرى مكتوفة الأيدي بعد أن خسرت مصالحها في إيران، وهي متخوفة الآن من فقدان هذه المصالح في سائر البلدان.

إن هذه القوى تتربص بنا الدوائر، وتعمل بكل ما في وسعها لمسخ هذه الثورة الإسلامية في الخارج...

الامام الخميني

١٥شوال – ١٤٠٠هـ

المذاهب الإسلامية
مدارس فقهية

علي الشيخ عمار*

بعضنا يرجو أن تكون هذه هي حال المسلمين، أي أن تكون مذاهبهم المختلفة مجرد مدارس فقهية، الخلاف في داخلها مبرر لأسباب بعضها يرتبط باجتهاد العلماء وتفسيرهم للنصوص، والبعض الآخر بالظروف الزمانية والمكانية والتي بحسبها يعمل الفقهاء على استنباط الأحكام من أدلتها. هذا إضافة إلى تنوع الطرق والمسالك التي على أساسها تتبنى الأحكام الشرعية المرتبطة بالأمور كافة: العبادات والمعاملات، هذه التي تشمل جميع مناحي الحياة وقد اعتدنا على تصنيفها اليوم ما بين سياسية ودينية واجتماعية واقتصادية وقضائية وإدارية وتربوية وصحية.

إن التاريخ غني بمثل هذه المدارس الفقهية وهي صنفت بحسب الدارسين المعاصرين كالتالي: المذهب المالكي، المذهب الحنفي، المذهب الشافعي، المذهب الحنبلي والمذهب الجعفري، هذا مع العلم أن اتجاهات فقهية مختلفة كثيرة غنية ومتعددة قديمة وحديثة ومعاصرة، تخالف المذاهب الخمسة، تظهر على الدوام

* - من كلمته في مؤتمر لتجمع العلماء في لبنان.

لتنبئ عن حيوية غير اعتيادية للإنسان المسلم والعقل المسلم ولتعلن بالفم الملآن بأن باب الاجتهاد على مصراعيه، بل أكثر من ذلك، بأن الاجتهاد واجب وإذا شئت فرض كفاية لا يجوز لأمة الإسلام أن تغفل عنه أو حتى أن تقصّر فيه.

أعتقد إن علماء الإسلام متيقظون ومدركون لأهمية هذه المسألة وهم لأجل ذلك مستعدون على الدوام وجاهزون للإجابة عن تساؤلات تفرضها طبيعة الحياة الإنسانية وهذه التبدلات التي طرأت وهذا النمو الحضاري والتقدم العلمي والتطورات المتسارعة التي طاولت وما تزال جوانب الحياة الإنسانية كافة: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتشريعية... هذا إضافة إلى أننا وأمام هذا الوعي الإسلامي المتنامي الشامل لجميع القطاعات الشعبية وشرائح المجتمع المختلفة مضطرون إلى مواكبة هذه التحولات العميقة، عن طريق البحث العلمي التي أصبحت وسائله بمتناول الجميع.

قلت إن بعضنا، وأرجو أن يكون جميعنا يسأل الله العلي القدير أن يجعل اختلاف المسلمين كاختلاف العلماء رحمة، بحيث لا يتعدى المسائل الفرعية المتعلقة بالأحكام التي يدأب الفقهاء على استنباطها من الأدلة المتاحة والمسالك المتبناة، وأن يبقى هذا الاختلاف في حدود التنوع المسموح به، هذا التنوع الذي يثري المجتمعات والعصور الإسلامية بالأفكار والآراء والاجتهاد

ويزيد في حيويتها ويسمح بإيجاد حلول ناجحة لقضايا الإنسان وتلبية لحاجاته الكثيرة، حتى ولو عدى هذا الاختلاف المسائل الفقيهة إلى مسائل كلامية ترتبط بذات الخالق سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله، والإنسان والكون والنبوة والإمامة إلى ما هنالك من المسائل المتشعبة التي تناولتها الفرق الكلامية على مر التاريخ.. ونحن وتعلقًا منا بهذا الرجاء، وإيمانًا منا بأن الدعاء أو الأمنية الخيرة الصادقة قابلة للتحقق بمشيئة الله تعالى، وحتى يتحول سعينا إلى الوحدة الإسلامية عملاً جادًا يؤتي أكله بعون الله تعالى، لا بد أن نتوقف مليًا عند أمور أهمها:

١ -هل نريد حقًا أن تكون المذاهب الإسلامية، مذهب أهل السنة والجماعة، والإمامية الأثنا عشرية، مجرد مدارس فقهية؟ بمعنى أن يتم التوصل إلى تفاهم نهائي حول المسائل الاعتقادية الأساسية، ومنها أركان الإيمان بطريقة تسوق شيئًا من الاطمئنان إلى قلوب المؤمنين الذين يعيشون حالات خوف وقلق نتيجة ما يتناهى إلى أسماعهم من كلام يصل إلى حد تكفير الآخر ورميه بشتى النعوت، من مثل: الردة والنفاق والزندقة..؟ هل هذا متاح؟ وما السبيل إليه؟ وهل استطاعت المؤتمرات العديدة منذ عشرات السنين، بل مئات السنين ولجان التقريب بين المذاهب الإسلامية أن تحقق نجاحًا في هذا الشأن؟! أنا أتساءل فقط.

هل النية تتجه إلى مثل هذه الغاية؟ دون أن يعني ذلك أني

أشكك في مقدرة الإنسان المسلم والعلماء المسلمين والمخلصين من أبناء الأمة على صياغة مرتكزات لمثل هذا التوحد على أسس إيمانية تستلهم الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة خاتم النبيين محمد بن عبدالله(ص).

هذا ما أردته من هذا العنوان، على الرغم من حالة الخوف التي تنتابني عند إثارة هذه المسألة نتيجة ردات الفعل المتشائمة التي تصدر من هنا وهنالك معلنة عقم المحاولات في هذا الاتجاه لأسباب كثيرة ليست أقلها التمترس خلف قناعات موروثة قد لا تصمد أمام خواطر إنسانية حميمة تطلق لنفسها العنان من دون حسابات متهمة من قبل المراقبين أو الناقدين الأذكياء.

فإن نقول أن المذاهب الإسلامية هي مدارس فقهية فقط، هذا يعني واحدًا من اثنين لا ثالث لهما: إما أن هذا هو واقع الحال، وإما أن المسلمين وعلماءهم على طريق الوصول إلى هذا الهدف السامي الكبير. وفي كلتا الحالتين نحن بخير إن شاء الله والإنسان بخير كذلك.

٢ -وبما أننا بصدد الحديث عن إمكانية تجاوز الاختلاف العميق إلى ما هو مباح ومقبول، فإنه لا بد من التذكير بأن الحوار المنفتح على كل الأمور، ضرورة تقتضيها طبيعة الغاية التي نسعى من أجل الوصول إليها، أعني بالحوار هنا والنقاش الهادئ الرصين الذي لا توضع في وجهه أية عوائق أو محرمات أو ما يسمى

بالإحراجات، طالما أن المسائل تتجه صوب تولد قناعة راسخة بأننا مذهب واحد، عقيدتنا واحدة وبأن الاختلاف فيما بيننا ناتج فقط عن اجتهادات الفقهاء وطرقهم في استنباط الأحكام الشرعية كما هي الحال في المذاهب الفقهية المختلفة، أو إذا شئت المدارس الفقهية المتعددة، وهنا تحضرني حادثة حصلت معي عندما كنت أحاور بعض الإخوة المثقفين من السنة والشيعة، إذ هالني يومها ما سمعت من بعضهم بأنه لا يجوز التحاور حول هذه المسائل الاعتقادية التي تعتبر في نظر هذا البعض من المقدسات، وأحدهم، وأنا أحبه واحترمه قال لي يومها: " أنا أجلك عن هذا الكلام الذي سمعته منك" في إشارة منه إلى تجرؤي على بعض الذي لا يناقش؟ مسلمات من هنا ومقدسات من هناك وثوابت ومحرمات... في أي شيء نتحاور إذن وكيف يمكن لنا أن نصل إلى قواسم مشتركة أو إلى وحدة فقهية حقيقية أساسها الرضا والاقتناع وليس المسايرة وعدم الإحراج؟!.

أنا أعرف أيها الإخوة، كيف ينظر بعضنا إلى بعض، وأنا أسمع كلامًا من هذا الجانب أو ذاك لا يبشر بخير، وفي اعتقادي أنه لا يصح أن تبقى الأمور على ما هي عليه اليوم، وأن الطريق إلى الوحدة هو التحاور الأخوي الذي يستبعد أية خلفيات لا أخوية ويتحرر من أية نوايا غير طيبة، وأنا لا استثني فريقًا واحدًا من الفريقين ولكن اعتقد أننا جميعًا نتحمل المسؤولية أمام الله

سبحانه وتعالى ولن يكون بالإمكان تبرأة الذات من تهم تكاد تكون ثابتة.

٣ -ومما يجعلنا نطمئن إلى أننا في النهاية سنكون موحدين رغم اختلاف مذاهبنا، هو يقيننا بأن الإنسان الذي كرمه الخالق سبحانه وتعالى واختصه بقدرات، تكاد تكون جميعها عجيبة ومميزة، من المفترض أنه يسعى خلال حياته ومسيرته إلى الله تعالى، إلى الخلاص.

هذا الخلاص الذي لا يتحقق إلا عن طريق معرفة الحق والانتصار لهذا الحق الذي يتولد عنه كل خير وكل ما فيه صلاح لهذا الإنسان في دنياه وآخرته.

وبما أننا أمة تبحث عن خلاصها وخلاص الإنسان، وبما أن هذا الخلاص لا يكون كما ذكرت، إلا بالتوصل إلى معرفة الحق أو الحقيقة أو الحقائق جميعها، وبما أنه أيضًا لا يمكن معرفة الحق وتمييزه عن الباطل إلا عن طريق البحث والتنقيب والتمحيص... كان لابد إذن من التعمق في هذه المهمة السامية الراقية الملائمة لمكانة الإنسان وطبيعته. ومما يؤرقنا أيها الإخوة ويدفعنا أكثر في اتجاه هذه المهمة هو خوفنا على المصير وحبنا لأخوّتنا، وحرصنا على الإنسان الذي نعتقد أنه القيمة الحقيقة وأنه المقصود من خلال كل العقائد الإيمانية التي بُعث بها الرسل عليهم السلام والشرائع الدينية التي فرضها الله تعالى.

من أجل ذلك أنا أعتقد أن طريق الوحدة هو ذاته طريق البحث

عن الحقيقة، طريق معرفة الحق، لأن معرفة الحق منا جميعًا وانتصارنا له من شأنه أن يوحدنا وأن يجعلنا أمة متعاونة على البر والتقوى كما نحب وكما يريد الخالق سبحانه وتعالى.

٤ -ومما يزيدنا اقتناعًا بسهولة المهمة التي ألقيت على عاتقنا من أجل أن نُطمئن أنفسنا مرة جديدة بأننا سنة وشيعة لا يسعنا إلا أن نكون أمة واحدة: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ نفعل الخيرات ونصلح الأرض، هي مقدرتنا جميعًا كمسلمين، على اعتماد قراءة جديدة لتاريخنا أو إعادة صياغة هذا التاريخ بأسلوب يتلاءم مع حرصنا على وحدة المسلمين على الرغم من تنوع مذاهبهم الفكرية أو الفقهية.

وإذا علمنا يقينًا بأن محاولات عديدة جرت في أماكن مختلفة وعصور متفاوتة لاختلاق كلام أو روايات أو أحاديث ونسبتها إلى النبي (ص)، مما بات يعرف اليوم بالأحاديث الموضوعة والإسرائيليات إلى ما هنالك.. فإننا نؤكد على ضوء ذلك بأن التاريخ الإسلامي الذي كتب في مراحل متأخرة فيه الكثير من المغالطات والأخطاء المقصودة، أو حتى غير المقصودة. وإذا كان الخبر الواحد عن حادثة معينة ينقل إلينا اليوم عبر وسائل الإعلام التي تمتلك أجهزة اتصالات متطورة جدًا ومراسلين متخصصين، بروايات مختلفة تكاد تكون متناقضة، وذلك تبعًا لسياسات وربما أهواء متعارضة أو ربما لأسباب أخرى، فإذا كان هذا ما يحصل في أيامنا، وعلى مرأى ومسمع من الجميع، فماذا نقول في

المؤرخين أو الرواة الذين ننقل عنهم أخبار المسلمين الأوائل في عصر النبوة وما بعده؟!

أقول هذا الكلام، لأن الكثير من الأفكار والآراء والمعتقدات قد بنيت على مثل هذه الأخبار والروايات التي وصلتنا عبر كتب التاريخ أو حتى كتب السيرة والسنّة النبوية المطهرة.

من أجل ذلك، أجدنا مدعوين ونحن نعبر طريق الوحدة والاختلاف المشروع، إلى إعادة النظر بكل الأخبار والروايات التي وللأسف تدق الإسفين تلو الآخر في جسد هذه الأمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله. هذه الأمة المؤمنة التي قال عنها رسولنا الكريم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وإذا كان المسلمون الأوائل قد امتلكوا الجرأة لإعادة النظر في آلاف الأحاديث المنسوبة إلى النبي (ص) حفاظًا على السنة النبوية، وتشبثًا بوحدة المسلمين ومنعًا لأي اختراق يتهدد الأمة في عقيدتها وشريعتها، أفلا نشعر نحن اليوم أنه بات من واجبنا إجراء مراجعة علمية جادة لتاريخنا على ضوء ما توفر لدينا من قدرات ووسائل، الغاية منها تنقية هذا التاريخ من كل ما من شأنه أن يباعد بيننا ويصطنع الموانع أمام تآخينا...

من واجبنا إذن، السعي إلى ذلك بخاصة وأننا في مؤتمر يحمل

عنوانًا جريئًا، إن لم نقل ثوريًا: "الوحدة الإسلامية في مواجهة فتنة التكفير".

فالتاريخ، كما أفهمه هو في خدمة الإيمان والإنسان والأخوة والتقارب والتعاون، ولا يجوز أبدًا أن تكون بعض المعتقدات المستلة من بعض الروايات التي نشكك في صحتها ونطعن في موضوعيتها، أساسًا نبني عليه علاقاتنا القلقة والمضطربة مع أخوتنا، وثابتًا نؤكد بناءً عليه تفرقنا وتمزق هذه الأمة، أمة محمد (ص) الرحمة المهداة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

أرجو أني استطعت أن أبين القصد من إثارة هذه المسألة المفيدة والشاقة في آن، راجيًا الله أن يسدد خطانا جميعًا وأن يهدينا سواء السبيل.

٥ -المذاهب الإسلامية إذن هي مدارس فقهية لأننا قادرون، إذا أردنا ذلك على أن نكون فريقًا واحدًا في جميع المناسبات التي تستدعي منا أن نكون كذلك، ولا يخفي على أحدنا كم هي الحاجة ملحة في عصرنا هذا، إلى أن نتخذ سويًا المواقف ذاتها وأن نسلك ذات الدرب حتى نخرج أنفسنا من كوننا جزءًا هامشيًا من هذه البشرية التي قطعت أشواطًا بعيدة في مجالات مختلفة وهي تحتاجنا في رسالتنا ودعوتنا وأخلاقياتنا وإنسانيتنا وشريعتنا الغراء من أجل تصويب المسار في الاتجاه الذي يجعل من منجزات حضارتها علاجًا وافيًا لمشكلات هذا الإنسان دونما التفات إلى جنسه أو لونه أو لغته أو البلاد التي ينتمي إليها، بدلاً من أن

يكون هذا النتاج الحضاري الإنساني في خدمة أطماع البعض ومشاريعه الشيطانية لقهر الشعوب الأخرى وإجبارها على البقاء في دائرة التخلف الذي يتسبب بحالات من المعاناة والآلام والأمراض والجهل والفقر والجوع.

بإمكاننا إذن أن نتوحد هنا، ومخاطبة العالم بكوننا أصحاب رسالة سماوية واحدة نتوجه بخطاب واحد علَّ الله يصلح بنا ما أفسده الآخرون. لا أصدق أن موانع حقيقة تحول بيننا وبين ذلك وإن كان الذي يسيطر على عقول البعض من أوهام هي مجرد أوهام، وموروثات متهافتة لا تصمد أمام العقول المستنيرة والقلوب الخاشعة الممتلئة حبًا لله ولرسوله.

٦ -والشيء الهام في هذه المرحلة الدقيقة، هو احترام بعضنا للبعض الآخر، بمعنى أن يكون بعضنا مقبولاً لدى البعض الآخر دونما حرج ما، وبوضوح تام يجعل واحدنا يطمئن إلى أخيه ويشعر أنه يتعامل مع من يثق بصدقه وحسن نواياه وصفاء سريرته، هذا من شأنه أن يفتح الطريق أمام تعاون في كافة المجالات بما يؤدي إلى خير كثير تقطف ثماره مجتمعاتنا التي تشكو الفرقة والتشرذم.

العديد منا يتعاطى في الكثير من المواقع، من منطلق أن الآخر يرفضه أو يتربص به، وهذه ذهنية مسيطرة في بعض الأوساط مما يجعل عملية التقارب بين أبناء الرسالة الواحدة عملية حذرة جدًا

وكأن فيها شيئًا من المخاطرة!!

هذا إضافة إلى أن البعض منا يعتبر الإساءة إلى الآخرين، في مناسبات مختلفة، لها ما يبررها طالما أن المتعارف عليه هو وجود فريقين متباينين في خندقين متقابلين.

مثل هذه الأفكار المضطربة، ليس بمقدورها، على خطورتها قطع الطريق نهائيًا على مشروع وحدة المسلمين التي يسعى إليها المخلصون في هذه الأمة، إلا أنها وللأسف تشكل عاملاً سلبيًا يضاف إلى تلك المعوقات التي تطل برأسها في كل مرة يتم فيها الكلام عن الوحدة والأخوة والتعاون على البر والتقوى.

فالمطلوب إذن ونحن نستحضر العوامل الإيجابية المساعدة، المزيد من الوضوح و المزيد من القبول المتبادل والمزيد من الطيبة والاهتداء بهدي كتاب الله تعالى الذي يرشد المؤمنين إلى الأساليب الناجعة المساعدة على جمع الشمل ووحدة الكلمة وإصلاح الأمور كلها.

٧ -نحن نتكلم عن وحدة المسلمين، في أسبوع الوحدة الإسلامية، ونحن نحث الخطى على طريق الوحدة، نحن أبناء الحركة الإسلامية، سنة وشيعة، الذين نؤمن أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة التي فرضها الله سبحانه وتعالى لإصلاح الإنسان والمجتمع، ونسعى كي تعم بخيرها مجتمعاتنا والمجتمعات الإنسانية الأخرى، نؤكد من هنا عبر هذا المؤتمر الوحدوي، على

أنه لا بديل عن تعاوننا جميعًا وتوحيد جهودنا في المجالات كافة، الدعوية والثقافية والاجتماعية والسياسية والإعلامية... إذ لا يجوز مطلقًا تشتيت القدرات والطاقات في ميادين يشعر المسلمون بحاجتهم إلى تآلف وتنسيق بين الهيئات والقوى والمؤسسات الرسمية والشعبية والشخصيات التي ترفع لواء الإسلام، هذا الدين العظيم الذي يأخذ بأيدي المجتمعات الإنسانية إلى سعادة مرجوة يتخبط إنسان اليوم في السعي إليها عبر علوم وفلسفات تبدو قاصرة إلا عن تحقيق عدد من الرغبات وتأمين الكثير من الحاجات.

بعض الإخوة العلماء السنة والشيعة، وهم يتحدثون في مناسبات مختلفة عن وحدة المسلمين بكونها حاجة ضرورية، أشاروا إلى أنه وفي حال تعذر اجتماع المسلمين وتوحدهم على فكر واحد أو فقه واحد، لا بد من تعاونهم فيما بينهم في الميدان السياسي، بخاصة وأن مجتمعاتنا الإسلامية تعيش حالة اضطراب داخلي نتيجة اغتصاب السلطات من قبل أدوات قمعية وسيطرة خارجية وتهديد دائم تمارسه قوى عدوانية تتصرف بدافع من أطماعها ومخاوفها من أن يستعيد المسلمون مكانتهم في قلب هذا العالم وروحه وضميره.

لا يحق لنا كقوى إسلامية، من المفترض أنها متعاونة أو سائرة على طريق الوحدة، لا يحق لنا أن نختلف أو نتخاصم أو تتضارب مواقفنا من قضايا سياسية محلية أو إقليمية أو دولية، كما أنه

ليس من حقنا أن نفترق لأعذار مختلفة، في مناسبات سياسية هامة أو محطات سياسية مرتبطة بمستقبل الأوطان ومصيرها، مثل مقاومة الاحتلال، أو المواجهة مع الحكومات الظالمة والسعي إلى إصلاح الأوضاع العامة، أو الانتخابات النيابية... إلى ما هنالك من مسائل نشعر أن تضامننا حيالها والتعاون والتنسيق فيما بيننا هي من الأمور التي من المفترض أن لا يختلف عليها اثنان من أبناء الحركات والقوى والمؤسسات الإسلامية.

وإذا كنا في لبنان قد تعاونا في إطار المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني البغيض، وجرى تنسيق بيننا بشكل أو بآخر، وإذا كنا نلتقي في مناسبات على مواقف سياسية واحدة أو متقاربة، أو نجري لقاءات سياسية دورية في المحافظات اللبنانية كافة.. إلا انه من المستهجن مثلاً أن تأتي مناسبة الانتخابات النيابية، وهي من أهم المحطات السياسية في لبنان، البلد الديمقراطي العريق كما يقولون، فتتوزع القوى والأحزاب والحركات والمؤسسات الإسلامية على جبهات متعارضة ولوائح متقابلة في بيروت والشمال والبقاع والجنوب؟! مثل هذه التصرفات ألا تدعو إلى الدهشة؟ ألا يصاب المراقبون بشيء من الارتباك والحيرة؟ وكم علامة استفهام يمكن أن توضع قبل وبعد مثل هذه الأعمال أو القرارات أو حتى النتائج؟!.

وإذا كنا في لبنان نختلق الأعذار لتبرير أخطائنا التي نرجو أن

تكون في حدود الأخطاء وألا تكون أكبر من ذلك بكثير، فما هي الأعذار التي يمكن أن نسوقها أو نستحضرها أو نصيغها ونصطنعها لأنفسنا في العراق مثلاً أو في أفغانستان... حيث الاحتلالات وعمليات القهر والإذلال والسيطرة الكاملة على البلاد ونهب الثروات.. هل يجوز أن نختلف حول مسألة مقاومة الاحتلال أو حول القضايا المرتبطة بمستقبل العراق ونظامه السياسي أو إلى ما هنالك من الأمور التي ينبغي وللوهلة الأولى أن يوحد الإسلاميون موقفهم منها دونما تردد.

أحببت أن أسوق هنا عددًا من الأمثلة، ليس من أجل أن يصاب البعض بشيء من الإحباط ولكن من أجل أن نلتفت إلى مثل هذه الأشياء التي يريدها البعض عائقًا في وجه وحدة المسلمين وحاجزًا يمنع الإسلاميين من صياغة ميثاقهم المشترك و الانطلاق سويًا صوب مستقبل مبني على أسس من الإسلام ووحدة الصف والإخلاص في جميع الأعمال.

لقد ذكرت بعض الثغرات بهدف تجنبها وحتى أسرع الخطى في اتجاه الوحدة التي نستشعر أهميتها وضرورتها خاصة وأننا كقوى إسلامية نبدي على الدوام الرغبة الصادقة في تحقيقها وتفاؤلاً كبيرًا يستند إلى قناعة متولدة بأن الاختلاف المذهبي يمكن أن يفهم على أنه كالاختلاف أو التنوع الفقهي أو الفكري أو العلمي، أحد عوامل الغنى في هذه الساحة الإسلامية التي من المسلم به أنها تتسع للجميع.

فما دمنا مسلمين نؤمن بالله ورسوله وبالقرآن الذي أنزل هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان، وما دمنا نؤمن بأن البعث حق وأن النار حق، وما دمنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر من الله تعالى، لا مجال بعد ذلك إذن للمخاوف التي نبديها من أننا لا يمكن أن نصل إلى وحدة حقيقية فيما بيننا.

فنحن مجتمعون على أصول إيمانية واحدة وملتزمون أركان الإسلام الحنيف فنشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت الحرام ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

أليست هذه هي الوحدة الحقيقة؟ تبقى أمور هامة أساسية أو فرعية من الضروري أن نسعى كعلماء ومؤسسات وحركات وقوى وأحزاب، دون كلل من أجل التوصل إلى شيء نهائي حيالها بطريقة تؤدي إلى رضى الله تعالى وإلى ترسيخ وحدة المسلمين وتثبيت الأسس التي تنبني عليها وتقوية أواصر الحب والمودة التي تربط بينهم.

هناك آليات محددة، سعيت في كلمتي هذه إلى التذكير ببعضها، علَّ الله ينفعنا بها ويصلح من أحوالنا ويهدينا إلى أرشد أمرنا ويغفر لنا ويرحمنا.

الوحدة الإسلامية
تكليف شرعي

علي الخطيب*

تقضي منهجية البحث أولاً أن نتحدث عن المقصود بالوحدة الإسلامية وكيف تكون موضوعًا للتكليف الشرعي.

لا شك أن المقصود بالوحدة الإسلامية هو العمل على إيجاد الوسائل والسبل التي توحد بين المختلفين في المواقف تجاه القضايا الأساسية الكيانية والأساليب التي تمس الجوهر والمصير، وهذا بنفسه يفترض في المبدأ وجود وحدة هيكلية تنخرط تحتها تنوعات لا تنافي مبدأ الوحدة العامة، ولا تعارضها بل تتكامل فيما بينها ولا تخرج عنها.

ونحن إذا ما أثبتنا هذين المبدأين، مبدأ الوحدة العام ومبدأ التنوع غير المتعارض بل المتكامل ضمن مبدأ الوحدة العامة تحقق لنا المقصود من هذا البحث وهو أن الوحدة الإسلامية تكليف شرعي إلهي بل ترقى بعض المفكرين الإسلاميين العاملين في هذا الحقل إلى تصنيفه ضمن العقائد الإسلامية ومقدساتها كما فعل الإمام شمس الدين (رحمه الله) في بحثه الذي قدمه في مؤتمر الغدير الذي عُقد في لندن.

---

* - قاض من لبنان.

وهو من أرقى البحوث التي يمكن الاستناد إليها لدفع هذه المسيرة نحو تحقيق أهدافها وللخروج من حالة الجمود القاتلة في الفكر الإسلامي التي إن استمرت، لا سمح الله، سوف تفسح المجال أكثر للطامعين والحاقدين على الإسلام والمسلمين وتراثهم الغني، وتؤمّن لهم مزيدًا من الفرص للانقضاض على ما تبقى من رصيد لدى أحباء هذه الأمة وتخلق فتنة بين أبنائه، يكفر بعضهم بعضًا ويقتل بعضهم بعضًا باسمه كما نرى الصورة اليوم، حيث ينظر بعضنا إلى الآخر بنظرة العداء والشك والريب ويبيح بعضنا دم البعض الآخر، دون أن نلتفت إلى ما يراد لنا ويهيأ من أفخاخ ومطبات وفتن، تكاد تأتي على هذه الأمة التي ترزح تحت حالة الذل والضياع والهوان أمام الاستكبار العالمي وصنائعه وأدواته، الذين ما فتئوا يمهدون لمشاريعه الخبيثة التي تستهدف الإسلام كدين وعقيدة للإنسان المسلم، يحاولون تشويهه في ذهنه بتصويره دينًا متخلفًا لا يناسب العصر ويخالف المنطق، وتحميله كافة السلبيات والنتائج لما انتهى إليها العالم الإسلامي من الهزائم أمام إرادة المستعمر، وكل مظاهر التخلف و الضعف التي نعيشها في كافة المجالات، أو استهداف الإسلام كافة عبر إثارة الحساسيات العرقية والطائفية بين المسلمين، والتي أدت فيما أدت إلى تمزيق العالم الإسلامي وشرذمته وتشتيت طاقاته الهائلة واستنفادها وضياعها في مواجهات مفتعلة، حيث استطاع الغرب وأعداء الإسلام تحقيق أهدافه عبر تحطيم وحدته السياسية وخلق

كيانات منفصلة بعضها عن البعض الآخر، فيما عرف اليوم بالكيانات القطرية، ليتلهى كل قطر بما سمي بإنجاز الاستقلال عن الدولة العثمانية، فيما كانت دول الغرب تسير قدمًا في مشروعها بوضع حجر الأساس للكيان العنصري اليهودي الصهيوني في فلسطين، وإلى وضع اليد على التركة العثمانية من الدول العربية والإسلامية بما سمي بالانتداب.

إن شعور الغرب بقوة الإسلام في نفوس المسلمين وخطره على مشاريعه الاستعمارية في العالم الإسلامي، وما فيه من دوافع لمواجهته ومقاومة مشاريعه استدعى منهم ألا يقتصر على الهيمنة العسكرية، وإدراكًا منهم أن هذا العملاق النائم سرعان ما سيستفيق من غفوته.

كل ذلك كان يستدعي من الغرب الحضور المباشر لحضانة هذه الكيانات القطرية خوفًا من وقوعها مرة أخرى بيد مخلصين، يعيدون اللحمة إليها. فلا بد من إيجاد العناصر اللازمة للإبقاء على هذه الكيانات منفصلة ولخلق التوتر الدائم بينها حتى لا يجمع بينها جامع.

لقد كان من قوة الشعور الوحدوي والعداء المستشري لحالات الانفصال هذه ما دعا القوى الاستعمارية المعادية إلى مجاراة هذا الاعتقاد لدى الأمة، بخلق مدارس فكرية معادية لفكر الأمة ودينها في الواقع، وترفع شعار الوحدة في الظاهر، مما يشغل الأمة فترة طويلة من الزمن في حروب فكرية عبثية بين القطرية

والقومية تارة وبين القطرية والإسلام طورًا آخر، فيما كان المشروع الصهيوني يزداد رسوخًا وقوة، والأمة ضعفًا وتمزقًا وتخلفًا. لذا استطاع الغرب وبهذه الأساليب والطرق أن يضعف الأمة من قدرتها على المواجهة، ولكنه لم يستطع أن يقضي عليها كقوة ثقافية ودينية يجمعها الإسلام، رغم كل أساليب المكر والخداع والتزييف الفكري والحضاري، وبقي المسلمون في الأغلب الأعم ينتمون إلى الإسلام، ويرفضون محاولات التغريب، وبقيت الفئة التي مثلت رأس الحربة في التغريب قليلة غريبة عن جسم الأمة، يلفظها ويقاومها ويمانعها من أن تصبح جزءًا عضويًا من جسده وكيانه. لقد نجحت الأمة متمثلة بمدارسها الفكرية الإسلامية من المواجهة إلى هذا الحد، لكنها لم تستطع وعجزت حتى الآن عن أن يتفتق ذهنها عن إنجاز مشروع البناء الجديد.

لقد تبين واضحًا في وقتنا الحاضر مدى تعلق الأمة بدينها ومدى الآمال التي تعلقها عليه، حين أنجزت المقاومة في لبنان انتصارها على العدو الإسرائيلي، أي على المشروع الغربي لأول مرة في تاريخها المعاصر، بعد سلسلة من الهزائم المتلاحقة التي بدأت بعد الحروب الصليبية، ولم تنته بقيام الكيان الغاصب على أرض فلسطين العزيزة واحتلال المسجد الأقصى واحتلال بيروت كعاصمة لدولة عربية.

إن هذا الانتصار المدوي إنما حدث على يد هذه المقاومة التي انتسبت إلى مدرسة الإسلام، فكان عمقها وشعارها عمقها

الروحي والأخلاقي والجهادي، مما سبب صدمة مدوية في العالم أجمع، وأفزع الكيان الغاصب، وولد سلسلة من المواقف التي حاولت منذ أن بدأت هذه المقاومة تشكل خطرًا على الكيان المحتل الغاصب، تنبه الغرب، وهو المتنبه دائمًا، والراصد بدقة لما يجري في العالم العربي والإسلامي من صغير الأحداث وكبيرها... تنبهه إلى خطورة ما تشكله هذه المقاومة على المشروع الغربي بما هي تعبير عن الإسلام وروحه ومدى حيويته وتعلق المسلمين به، وما يمكن أن تشكل هذه التعبيرات من عودة للأمة إلى مشروعها الحضاري ورسالتها التاريخية، وأن تأخذ زمام المبادرة في البناء والمواجهة. ولكنه رغم كل عوامل القوة التي تمتلكها هذه ورغم هذه، الحيوية والقدرة اللامحدودة، لم تستطع الأمة حتى الآن الخروج من المواقع التي أريد لها الانزلاق فيها، وتجاوز مشكلتها.

وهذه المشكلة ليست مشكلة تعدد الطوائف والمذاهب والقوميات.

كما أنها ليست في وجود العدو الذي حاول ويحاول الاستفادة من هذه التعددية ليخلق للأمة مشكلة من داخلها، ولكن مشكلة الأمة في تخلفها أولاً في فهم هذه التعددية واعتبارها مشكلة بدل أن ترى فيها تنوعًا يغني تجربتها ويحملها بالتالي على تقبلها، كما أراد الله تعالى لهذه الأمة أن تبقى واحدة على رغم ما يمكن أن تنتجه من تنوعات ولكن تحت سقف شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وثانيًا: في قبول هذه التعددية والرأي الآخر تحت السقف الذي ذكرنا، رغم الآيات الكثيرة التي سنتعرض لها فيما بعد، والتي سيتبين لنا من خلال استعراضها ما تقدم من التأكيد على وحدة الأمة، وحرمة الاختلاف والتنازع، وتعيين المرجع عند الاختلاف الذي هو القرآن، وحرمة التنازع عند الاختلاف، وإن الذي يحكم بالحق ويبينه هو الله تعالى غدًا يوم القيامة، وإن الاختلاف أمر سيحدث وستبتلى الأمة به، وكيف ينبغي لنا أن نتعامل مع الاختلاف، وسنتعرض إلى هذه العناوين والآيات والروايات:

ورد في الحديث: أنه «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، حرم ماله ودمه وعرضه». والحديث واضح لا لبس فيه في أن يترتب حكم إسلام الفرد واحترام ماله ودمه وعرضه في الشهادتين.

بل ورد عن رسول الله (ص): «الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وأن تشهد أن لا إله إلا الله» كنز العمال/ ٣٩.

وعن رسول الله (ص): «الإسلام يحقن به الدم وتؤدي به الأمانة وتستحل به الفروج» الكافي١/ ١٧٣ ح٤ و٢.

وهذه الروايات واضحة في تحديد من هو المسلم في شموله لكل من نطق بالشهادتين وإن خالف الآخرين في التفاصيل فيما لا يعود إلى تكذيب النبي (ص) والكتاب، وهو يتضمن بالتالي التنوع والتعدد في أن الإسلام لا يعني الإيمان، فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فإن قول الله تعالى لا

تقولوا آمنا وأن تقولوا أسلمنا لا معنى له لو كان الإسلام يعني الإيمان، وإنما يكون له معنى مع الافتراق، وإن الإيمان مرتبة أعلى من مرتبة الإسلام، فهو يتضمن الإسلام وزيادة، وما تقدم من أحكام من حرمة الدم والعرض والمال إنما ترتب على الإسلام لا على الإيمان. وقد اختلف المسلمون فيما بينهم في بعض التفاصيل ولم يرتب الله تعالى حكم الإسلام عليها، وإنما اعتبرت شروطًا للإيمان، وإن عدم الإيمان بها من البعض الآخر لا يخرجه عن أحكامه ولا يجعله كافرًا، بل قد روي عن رسول الله (ص): «من كفّر مسلمًا فقد كَفَرَ» وأنه قال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض».

وحيث تدل كل من هاتين الروايتين بوضوح على أن تكفير المسلم يوجب الكفر، ولعل المقصود من قتال المسلم للمسلم أو قتاله لخلاف في بعض تفاصيل العقيدة، وليس لخلاف دنيوي، فإنه ليس من أسباب الكفر الخلاف الدنيوي.

وخلاصة الكلام في أن التعدد المذهبي والتنوع العقائدي لا يعطل وحدة الأمة، ولا يبرر بالتالي الخلاف والنزاع، بل هو محرم بجميع وجوهه، يصل إلى حد الكفر. وهو تعبير بالتالي عن أن وحدة المسلمين هي وحدة مقدسة كما هي أسس الاعتقاد التي بها يكون المسلم مسلمًا ومن دونها يخرج عن الإسلام. وقد ورد عن الإمام الصادق (ع) عندما سأله أبو بصير عن الإيمان: «الإيمان بالله ألا يعصى، قلت فما الإسلام؟ قال: من نسك نسكنا وذبح

ذبيحتنا وأقرّ بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أمر الله عز وجل فهو مؤمن» ومثله عن أمير المؤمنين علي (ع).

هذا على أن الاختلاف بين البشر في الإفهام هو سنة إلهية، فالله تعالى لم يخلق الناس متساوون في الأفهام والعقول، وهو ما نستوحيه من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ .

الاختلاف المذهبي ليس مذمومًا إلا من حيث تأديته إلى التنازع والتدابر، وإن الله تعالى أراد أن يكون التنوع مجالاً للتكامل والتعارف الذي يؤدي إلى الفهم المتبادل وقبول الآخر، ولهذا كان المقياس الإلهي للكرامة عنده التقوى، التي تعني عدم العدوان والظلم وعدم التمايز بالأعراق، وأن يكون التمايز في كل ذلك سبيلاً إلى التكامل والتعاون على البر والتقوى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

إن الاختلاف بهذا المعنى أمر طبيعي تكويني يعترف به الإسلام، بل هو سر من أسرار الله تعالى، يغني الحياة ويجعل لها معنى، ليس لها من دونه فائدة.

الاختلاف المحرم:

الاختلاف المنبوذ والذي نهى الله تعالى عنه هو الاختلاف الذي يراد به تفريق الأمة وتمزيق شملها وإيجاد النزاعات بينها، مما يوجب ذهاب ريحها وفشلها في القيام بالمهمة التي كانت الأساس

في وجودها كأمة في الحياة تحمل رسالة الله إلى البشرية ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

والفشل هو الفشل في القيام بهذه المهمة مما يوجب جرأة الأعداء عليها ويجعلها عرضة لكل طامع في دينها ودنياها، كما هو الحاصل في هذا الزمان. وقد كان هذا المحظور هو الذي يقعد بأئمة أهل البيت (ع) عن القيام بأي أمر إذا كان ذلك سيؤدي بالأمة إلى الفرقة. وقد عبّر عن ذلك أمير المؤمنين علي(ع): «وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعودوا إلى الكفر ويعور الدين لكنا قد غيرنا ذلك ما استطعنا»، وهو يضع هنا قاعدة الأساس لأي تحرك والحد الذي يجب أن يقف عنده حتى لو كان حقاً، وهو ألا يؤدي إلى واحد من هذه الأمور، الفرقة أو الكفر أو أن يصيب الدين الوهن.

ويعبر عن ذلك أمير المؤمنين في مورد آخر قائلاً: «فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَّحوه عني من بعده حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم».

لقد تقدم أن الإسلام يسع هذا كله وأن هذه هي وظيفة المسلم في أن يفتش عما يراه الصواب ويعتقد به، وأن الخلاف في المذهب

لا يبيح للمسلم حرمة من خالفه طالما لم يخرج في ذلك عن حد الله تعالى، فلا يستطيع مسلم أن يتهم مسلمًا بأنه يعلم الحق وينكره أو يخالفه، وإنما هذا اعتقاده فيما بينه وبين الله تعالى يحاسبه عليه: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

وقد وردت تعبيرات مختلفة تحت عناوين مختلفة في هذا المعنى عن علي (ع) «من أعان على مسلم فقد برئ من الإسلام» وعن رسول الله (ص): «المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يشتمه» وفي حديث آخر: «المسلم أخ المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله» لهذا كله لا يجوز أن تفسد هذه الأخوة مصالح الحياة الدنيا، قال (ص): «المسلم أخ المسلم يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفتّان»، وفي التعبير من عمق الدلالة عما ذكرناه من أن الاختلاف في بعض تفاصيل المعتقد لا يجوز أن يكون سببًا للنزاع يدخل منه الأعداء ليفتنوا المسلمين عن دينهم بل يتعاونون فيما بينهم على أهل الفتنة، وقد كانت هذه الروايات متوجهة إلى أفراد الأمة بشكل عام وتكليف المسلم الفردي، فيما نجد روايات أخرى كثيرة تتوجه بالخطاب إلى المسلمين بالوحدة مشبهة لهم باليد، ونحن نعلم أن اليد تتوزع أصابع ولكن هذه الأصابع تعود إلى كف واحد يجمعها وهو بالنسبة للمسلمين الإسلام، لقد قال (ص) كما ورد عنه: «المسلمون يد على من سواهم تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم».

وحدة الهدف:

ولا شك أن الأمة الإسلامية لم تُبنَ على أساس عرقي أو قومي أو غيره من الأسس الدنيوية والمادية، وإنما بنيت على أساس وحدة الاعتقاد والهدف كما أسلفنا، ولهذا فقد أراد الله تعالى منها أن يتحقق من خلالها. وقد عبر تعالى عن ذلك بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾. وهذا الأمر والنهي هو سر بقاء هذه الأمة ووجودها، ولا إشكال أن تمزيق الأمة وتفريقها سيقضي على هذا الهدف الإلهي، وينقض هذا الغرض. وبالوحدة فقط نستطيع أن نقوم بهذه المهمة الربانية التي هي أشرف المهمات وأخطرها، وبها استحقت أن تكون أمة وسطًا، فإن الأمة الوسط هي في قيامها بالشهادة على الناس: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾، ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس﴾.

الساحة الحياتية ساحة امتحان للقيام بالمهمة: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾.

هذا وغيره الكثير من الآيات والروايات لا تدع مجالاً للشك في تكليف الأمة القيام بهذه المهمة بالتوحد وخصوصًا في هذا العصر الذي تتعرض فيه الأمة إلى أشد الأخطار في وجودها وتتعرض قيمها الإنسانية إلى الضياع بالانحلال الخلقي والروحي.

النهضة عند السيد الشهيد الصدر ومالك بن نبي

تشكل النهضة هاجسا مؤرقًا عند السيد الشهيد محمد باقر الصدر، فهو يبتدئ في تصدير العدد الأول من مجلة الأضواء بالشرط الأساسي لنهضة الأمة مما يدل على أنها قد شغلت مكانًا لا بأس به من تفكير الشهيد السعيد فهو يحصر النهضة لأي أمة كانت بشرط واحد هو توفر «المبدأ الصالح الذي يحدد لها أهدافها وغاياتها ويضع لها مثلها العليا ويرسم اتجاهها في الحياة» والشهيد إذا ما حسر النهضة بهذا الشرط الوحيد فهو لا يكتفي بعموميته بل يتعمق إلى خصوصياته فيضع له ثلاثة شروط لكي يسري مفعوله في جسد الأمة وهي:

١ – وجود المبدأ الصالح والصحيح.

٢ -فهم الأمة له.

٣ -إيمانها به.

والأمة عندما تستجمع هذه العناصر الثلاثة يكون بإمكانها أن تحقق لنفسها نهضة حقيقية.. وعند هذا التبيان في شروط النهضة ينتقل الشهيد إلى واقع الأمة ليرى الخلل وفق العناصر الثلاثة، ومنه أيضًا ينتقل من العام إلى الخاص، فبعد أن وضع شروط النهوض لأية أمة كانت، يخصص الآن الأمة الإسلامية

دون بقية الأمم فيقرر ابتداءًا وجود المبدأ الصحيح المتمثل في «دينها الإسلامي العظيم الذي لا يزال وسيبقى مادام الدهر أقوى ما يكون على تحمل أعباء القيادة المبدئية، وتوجيه الأمة بوجهتها المثلى، والارتفاع بها من نكستها إلى مركزها الوسطي من أمم الأرض جميعًا كما شاء الله لها».

الأمة الإسلامية مجمعة على الإيمان بهذا المبدأ وتقديسه دينًا وعقيدة، فلا بد أن يكون النقص إذن في العنصر الثالث: «فالأمة تؤمن بالمبدأ الإسلامي إيمانا إجماعيًا ولكنها لا تفهمه فهمًا إجماعيًا وهي لا تعرف من مفاهيمه وأحكامه وحقائقه إلا نزرًا يسيرًا، هذا الواقع الذي تعيشه الأمة منذ أن مُنيت بالمؤامرات الدنيئة المستترة تارة والسافرة أخرى من أبناء الصليبيين المستعمرين أعداء الإسلام التاريخيين».

فعدم فهم الأمة للإسلام يصبح السبب الرئيسي لتخلف الأمة الإسلامية وعدم نهوضها، فلا بد من الرجوع إلى الإسلام الحنيف لفهمه بالصورة الصحيحة المنزلة من السماء لا كما تصوره أجهزة الإعلام المدعومة من قبل الاستعمار، وإذا ما عرفنا الخلل فالسيد الشهيد يدعو الأمة إلى «أن تُقبل على تفهم إسلامها ووعي حقائقه واستجلاء كنوزه كي يملأ الإسلام كيان الأمة وأفكارها ويكون محركًا حقيقيا لها وقائدًا أمينًا إلى نهضة حقيقية شاملة».

فالفهم العام للمبدأ الإسلامي إذن هو ضرورة للأمة لكي تستكمل به الشرط الأساسي لنهضتها.

مالك بن نبي:

ليس هناك خط فاصل ودقيق بين مفهوم النهضة والحضارة عند مالك بن نبي ولعل أحد أسباب ذلك هو عدم انفصالهما في ذلك الوقت، إذ إن الطبعة الأولى لشروط النهضة صدرت عام ١٩٤٨.. إلا أنه مع هذا فإنه يبتكر مصطلحًا أقرب ما يكون إلى النهضة وهي نقطة الانتقال من اللاحضارة إلى الحالة الحضارية. ولهذا فالعالم الإسلامي لكي ينتقل إلى الحضارة لا بد أن يجمع أجزاءها لتنتج بعد ذلك مركب الحضارة «فإذا سلكنا هنا هذا المسلك قررنا أن كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتية: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت. ففي المصباح مثلا يوجد الإنسان خلف العملية العلمية والصناعية التي يعتبر المصباح ثمرتها، والتراب في عناصره من موصل وعازل هو يتدخل بعنصره الاول في نشأة الإنسان العضوية، والوقت (مناط) يبرز في جميع العمليات البيولوجية والتكنولوجية، وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين الأولين، الإنسان والتراب.

وإذا ما جمعنا نتاجات الحضارة كانت المعادلة هي:

حضارة = إنسان + تراب + وقت

ومن هذه المعادلة تنحل مشكلة الحضارة إلى ثلاث مشكلات أولية:

مشكلة التراب، ومشكلة الوقت ومشكلة الإنسان. فلكي تتكون الحضارة يجب أن تعالج هذه المشاكل في عالمنا الإسلامي.

ولكن هل يكفي تجميع أجزاء الحضارة لكي ينتج المركب؟ يجيب بن نبي بأن وجود الهيدروجين والأوكسجين وحدهما تلقائيًا لا يكوّنان (الماء).. وكذا الأمر في أجزاء الحضارة فلا بد من «مركب الحضارة» أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض.. «ونجد أن هذا المركب موجود فعلا وهو الفكرة الدينية التي رافقت دائمًا تركيب الحضارة خلال التاريخ».

وإلى هنا يتلخّص موقف بن نبي في أن الفكرة الدينية هي المركب الذي يجمع أجزاء الحضارة (الإنسان، التراب، الوقت) وعند الجمع تتكون الحضارة أو بعبارة أدق تتساوى مع الحضارة حسب ما يظهر من المعادلة.

السيد الشهيد ومالك بن نبي

عند نقطة الفكرة الدينية يقترب مالك بن نبي من الشهيد الصدر (المبدأ الصالح) فكل منهما لديه أساس واحد للنهضته (الفكرة الدينية أو المبدأ الصالح) اللذان يتساويان بقليل من

التسامح من حيث المعنى.

ولكن ما يؤخذ على بن نبي هو أن توفر الفكرة الدينية وحلها للعناصر الثلاثة يجب أن ينتج حضارة، فلماذا لم تولد بادرة حضارة مع توفر الفكرة الدينية في العالم الإسلامي ؟ وقد يكون الجواب بسيطًا لأن الأمة لم تأخذ من الدين ما يدمج العناصر الثلاثة. وهنا يتضح المأخذ على بن نبي إذ إن توفر الفكرة الدينية وحده لا يكفي ليكون المركب لأجزاء الحضارة في جميع الأحيان، فلا بد إذن من وجود شروط تخضع لها الفكرة الدينية لكي تولد حضارة.

والشهيد الصدر يتميز عن بن نبي في هذه الشروط التي يحددها باثنين هما إيمان الأمة وفهمها له.. والشهيد الصدر كذلك يضع الشروط الملائمة للفكرة الدينية حتى تنتج نهضة وتولد حضارة.

ومن هذه المقارنة البسيطة والموجزة تتضح لنا دقة الشهيد الصدر في طرحه وتشخيصه للخلل الموجود في الأمة وهو نقص في فهم إسلامها الحنيف. وتشخيصه يحمل دعوة منه إلى الدعاة أن يبذلوا أقصى ما يمكن لنشر وتفهيم الإسلام إلى الأمة الإسلامية.

القسم التاسع : الذنوب تؤدي بالإنسان إلى الكفر

سيد هاشم الرسولي المحلاتي *

علاقة الذنوب بالكفر

من الأخطار الكبرى للذنوب انسياق المذنب تدريجيًا نحو انكار المقدسات الدينية، ونحو رفض الأحكام الإلهية وبالتالي إلى الكفر والشقاء في الدنيا والآخرة.

سنذكر آثار الذنوب في انجرار الإنسان نحو الكفر، وقبل ذلك نستعرض النصوص الدينية في هذا الشأن: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُونَ﴾. (الروم/١٠).

ويقول تعالى: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين/ ١٢ – ١٤).

فالآية الكريمة الأولى تبين أن نتيجة الانغماس في السيئات هي التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها، والآية الثانية توضح أن هؤلاء الآثمين هم الذين يكذبون بآيات الله، وأن ما كسبوه من سيئات قد تحول إلى صدأ يغطي قلوبهم فلا يعون الحق.

---

* - عالم دين إيراني.

ولتوضيح هذا المفهوم جاء في الحديث عن الإمام الباقر(ع): «ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فاذا أذنب ذنبًا خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا تغطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدًا».

وعن أبي بصير عن الإمام الصادق(ع) أنه قال: «إذا أذنب الرجل خرجت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبدًا».

وعن الصادق عن أبيه الباقر – عليهما السلام – أنه قال: «ما من من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله».

مما تقدم يتضح أن الإنسان يغلق -في كل ذنب يرتبكه – نافذة من نوافذ قلبه، فإن تاب عادت فانفتحت هذه النافذة ليدخل منها النور والكلام الحق إلى القلب، وإن تمادى الإنسان في ذنوبه تنغلق كل النوافذ، ويصبح الإنسان بعيدًا عن استماع صوت الحق، بل رافضًا له ومعاندًا فينجر حينئذ إلى الكفر، ويغرق في مستنقع الانحراف.

قال سبحانه: ﴿ولا تتبع الهوى فيُضلّك عن سبيل اللّه﴾.

وقال رسول اللّه(ص): «إن أخوف ما أخاف علي أمتي الهوى وطول الأمل..»وقال أميرالمؤمنين علي(ع): «من أطاع هواه هلك».

وعن الصادق(ع) قوله: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم».

وعن علي(ع) قال: «اقمعوا هذه النفوس فإنها طلقة تنزع بكم إلى شر غاية».

الذنوب المؤدية إلى الكفر

قبل أن نتحدث عن الذنوب المؤدية إلى الكفر لابد أن نذكر أولا كيف تجر الذنوب الإنسان إلى الكفر.

القرآن الكريم يبين ذلك بأسلوب رائع حيث يقول: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ، بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾. (القيامة/٣ -٦).

روي في تفسير «ليفجر أمامه» أنه التعجيل بالذنب والتسويف بالتوبة.

والفخر الرازي يقول في تفسير هذه الآية الكريمة:

إن انكار يوم القيامة اما أن يكون عن شبهة أو عن شهوة!

فإن كان عن شبهة فقد أجاب الله تبارك وتعالى في الآية الاولى عن هذه الشبهة حيث قال: ﴿يَحْسَبُ الإنسان أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ ،

بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ بكل ما فيه من دقائق الخلقة والخطوط.

وأما إنكار المعاد عن شهوة وهوى نفس فقد بينه الله تعالى في قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾. أي إن الإنسان يريد أن لا يحد شهواته حد، ولا يمنع لذائذه مانع، ومن هنا ينكر المعاد ويوم القيامة والحشر والنشر، لأنه يرى في ذلك ما يحد شهواته ويمسك عنانه، فينكر، ويقول مستهزئًا: «أيان يوم القيامة».

ما أكثر الذين يقيمون حياتهم حول محور الأهواء والشهوات، فما انسجم معها يقبلونه، وما خالفها يرفضونه، أو يؤولونه بشكل ينسجم مع تلك الأهواء والشهوات.

هذه الحالة عبّر عنها الإمام الحسين بن علي عليه السلام في خطبة له أمام أصحابه قرب كربلاء حيث قال: «إن الناس عبيد الدنيا والدين لَعِقٌ على ألسنتهم يحوطنه ما درّت معائشهم فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديّانون».

ولا أدل على قول الإمام من أولئك الذين وقفوا في وجهه وحاربوه وهم يعرفونه حق معرفته، لكنهم انهاروا أمام تهديدات الأمويين وإغراءاتهم، وانساقوا وراء ذاتياتهم فارتكبوا أفظع جريمة عرفها التاريخ.

أما الذنوب التي تجر الإنسان إلى الكفر فهي:

١ – اتباع هوى النفس

من أولى أهداف الأنبياء تحرير الإنسان من القيود التي تحد مسيرته التكاملية، وتكبل إنسانيته المتسامية.

ومن الطبيعي أن تتجه الرسالات الإلهية إلى ضبط الشهوات الحيوانية في الإنسان وتحديدها وتهذيبها، وذلك بتقوية إرادة الإنسان وتحويله إلى موجود متحكم في أهوائه وشهواته، وهذا ما مرّ بنا في الأقسام السابقة.

وكل رغبة نحو الارتكاس في الشهوات، وكل عمل يدفع بالإنسان إلى الانحدار في البهيمية، يدفع بالإنسان في الوقت نفسه إلى الابتعاد عن خط الرسالات الإلهية. ذلك لأن الكائن البشري يرى نفسه أمام انحدار أو صعود، فإذا شاء الانحدار تمرد على الصعود وذمه ورفضه وأنكره، وهكذا يتردى الإنسان في سقوطه حتى يهلك في مستنقع الكفر والضلال.

يقول الامام علي(ع): «إنما أهلك الناس خلصتان، هما أهلكتا مَنْ كان قبلكم وهما مُهلكتان من يكون بعدكم: أمل يُنسي الآخرة، وهوى يُضل عن السبيل».

ويقول(ع): «من أطاع نفسه في شهواتها فقد أعانها على هلكتها».

والقرآن الكريم يقرن في آيات عديدة بين اتباع الهوى والسقوط في الضلالة.

يقول سبحانه: ﴿ فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ﴾.

ويقول أيضًا: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وفي تاريخ الأمم والشعوب نجد الشهوات واتباع الهوى من أكبر العقبات التي وقفت في وجه الرسالات الإلهية، وأن الدوافع الحيوانية هي التي دفعت المعارضين لأن يعارضوا الأنبياء ويصدوا عن سبيل الله.

وكذلك كانت الأهواء دومًا هي الدافع لحكّام الظلم والجور أن يُنزلوا نقمتهم بالفئة المؤمنة، ولأن يعاملوا الصالحين بأنواع القسوة والشدة، ذلك لأنهم يرون في هؤلاء المؤمنين والصالحين خطرًا على انغماسهم في شهواتهم الهابطة.

بين المأمون والرشيد

نقل الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا» بسنده عن سفيان بن نزار قال: كنت يومًا على رأس المأمون فقال: أتدرون من علّمني الولاء لأهل البيت؟ فقال القوم جميعًا: لا والله ما نعلم. قال: علمنيه الرشيد. قيل له: وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال: كان يقتلهم على المُلك، لأن الملك عقيم، ولقد حججت معه

سنة، فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجّابه وقال: لا يدخلنَّ عليَّ رجل من أهل المدينة ومكة من أبناء المهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلا نسب نفسه، فكان الرجل إذا دخل عليه قال: أنا فلان بن فلان حتى ينتهي إلى جده من هاشمي أو قريشي أو مهاجري أو أنصاري، فيصله بخمسة آلاف درهم وما دونها إلى مئتي دينار، على قدر شرفه، وهجرة آبائه.

فأنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال: يا أمير المؤمنين على الباب رجل زعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه، والأمين والمؤتمن وسائر القواد فقال: أحفظوا على أنفسكم، ثم قال لآذنه ائذن له، ولا ينزل إلا على بساطي.

فأنا كذلك اذ دخل شيخ قد انهكته العبادة، كأنه شنّ بال، قد كَلِمَ السجودُ وجهه وأنفه، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه فصاح الرشيد: لا والله إلا على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل، ونظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام، فما زال يسير على حماره حتى سار إلى البساط، والحجاب والقواد محدقون به، فنزل فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط وقبل وجهه، وعينيه، وأخذ بيده حتى صيّره في صدر المجلس، وأجلسه معه فيه وجعل يحدثه ويقبل بوجهه عليه، ويسأله عن أحواله.

ثم قال: يا أبا الحسن ما عليك من العيال؟ فقال: يزيدون على الخمس مئة قال: أولاد كلهم؟ قال: لا أكثرهم موالي وحشم، فأما الولد فلي نيف وثلاثون الذكران منهم كذا، والنسوان منهم كذا، قال: فلم لا تزوج النسوان من بني عمومتهنَّ وأكفائهنَّ؟ قال: اليد تقصر عن ذلك. قال: فما حال الضيعة؟ قال: تعطي في وقت وتمنع في آخر، قال: فهل عليك دين؟ قال: نعم. قال: كم؟ قال: نحو من عشرة آلاف دينار.

فقال الرشيد: يا ابن عم أنا أعطيك من المال ما تزوّج به الذكران والنسوان وتعمر الضياع فقال له: وصلت رحمك أي ابن عم، وشكر الله لك هذه النية الجميلة والرحم ماسَّة، والقرابة واشجة، والنسب واحد والعباس عم النبي(ص)، وصنو أبيه، وعم علي بن أبي طالب(ع) وصنو أبيه، وما أبعدك الله من أن نفعل ذلك وقد بسط يدك، واكرم عنصرك، وأعلى محتدك فقال: أفعل ذلك يا أبا الحسن وكرامة.

فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عزوجلّ قد فرض على ولاة عهده، أن ينعشوا فقراء الأمة، ويقضوا عن الغارمين، ويؤدّوا عن المثقل، ويكسوا العاري ويحسنوا إلى العاني، وأنت أولى من يفعل ذلك فقال: أفعل يا أبا الحسن، ثم قام، فقام الرشيد لقيامه، وقبّل عينيه ووجهه، ثم أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال: يا عبدالله ويا محمد ويا إبراهيم بين يدي عمكم وسيدكم، خذوا بركابه، وسوّوا عليه ثيابه، وشيعوه إلى منزله، فأقبل أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام سرًا بيني وبينه فبشرني بالخلافة

وقال لي: اذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي، ثم انصرفنا، وكنت أجرأ ولد أبي عليه.

فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد عظّمته وأجللته، وقمتَ من مجلسك إليه فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟! فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بُنيَّ إنه لأحق بمقام رسول الله(ص) مني، ومن الخلق جميعًا، ووالله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، فإن الملك عقيم.

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرّة سوداء، فيها مئتا دينار!! ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال له: اذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيقة وسيأتيك برُّنا بعد هذا الوقت!!.

فقمت في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش، وبني هاشم، ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مئتي دينار؟! أخس عطية أعطيتها أحدًا من الناس؟ فقال: اسكت لا أم لك، فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت آمنه.

جمعية العلماء المسلمين وابن باديس

عبدالرحمن شيبان*

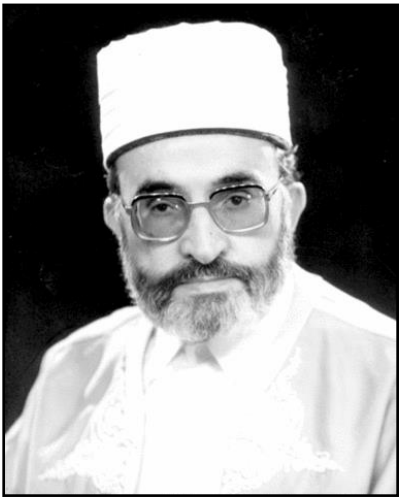

ثقافة التقريب:

حسنًا فعلت جامعة الإمام الأوزاعي إذ كرّمت شيبة ابيضّت في الإسلام، ورجلاً هو بقية السلف الصالح من روّاد النهضة الإسلامية المعاصرة، وعالمًا سخّر علمه في سبيل إحياء أمته وخدمة وطنه. إنه فضيلة الشيخ عبدالرحمن شيبان حفظه الله تعالى. وهذه الكلمة وجهها إلى حفل الجامعة بمناسبة التكريم.

«وانا إن لم أكن منهم فقد يسر الله لي أن أحظى بمجالستهم، وهم القوم لا يشقى جليسهم. كما ورد في الحديث النبوي الشريف عن المتحابين في الله.

---

* - رئيس جمعية العلماء الجزائريين.

وإنه ليعتبر هذا التكريم تكريمًا في الحقيقة للجزائر، ولشعب الجزائر، ولجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كنت جنديًا فيها منذ نشأتها إلى يوم الناس هذا، وإلى رئيسها الأول، الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

وهل تستغرب هذه المكرمة من مجلس علمي، وأمناء كلية تحمل اسم إمام كان – كما يقول عنه أبو نعيم في الحلية – واحد زمانه، وإمام عصره وأوانه، عالمًا ربانيًا، ولا يخاف في الله لومة لائم، ومقوالا للحق، لا يهاب في ذلك سطوة أي كان، تمامًا كما كانت سيرة أخيه، ومحبه الإمام عبد الحميد بن باديس، الذي نهل من العلم اليقين، وتصدى لفرنسا حتى أتاه اليقين.

نعم لقد تصدى لفرنسا بعد مرور مائة سنة عن احتلالها للجزائر، وبعيد احتفالها الفخم الضخم، الذي أقامته سنة ١٩٣٠ تمجيدًا لنصرها، وتثبيتًا لأقدامها، وإعلانًا مدويًا بخلود حكمها، وإعلاء للغتها ودينها، وإيذانًا بأفول شمس الإسلام ولغته بديار الجزائر.

نعم لقد انبرى الإمام لفرنسا على رأس جمعية العلماء كالطود الأشم – وهو النحيف الجسم – وفي نفس اليوم الذي اعتقدت فيه يقينًا لا ريب فيه، أن عهد الإسلام بالجزائر قد ولّى، وأن عهد اللغة العربية في الجزائر قد انتهى!

فما مضت بضع وعشرون سنة من الجهود المتواصلة، ليل نهار،

في تربية النشء، وتعليمه وتثقيفه، حتى تغير وضع الأمة تغييرًا جذريًا، وعمّ الوعي، فانتعش الدين وعادت الحياة إلى اللغة، وكانت الثورة المباركة الكبرى (نوفمبر ١٩٥٤) التي أعادت للجزائر سيادتها، وأرست للغة العربية أركانها، وأعادت للحنيفية السمحاء عزتها وسؤددها.

وما أخوكم في الله هذا – عبد الرحمن شيبان – إلا ثمرة من الثمرات التي غرسها الإمام، وشمعة من الشموع والمصابيح التي أوقدها، وقبس من الأنوار التي أشع بها، ينير بها أبصار وبصائر أمته طوال حياته، حياة دنيوية رماها وراء ظهره، وطلقها طلاقًا بائنًا كليًا – بما في ذلك زوجته الطاهرة رحمها الله – ليهَبَ نفسه كليًا للإسلام وللجزائر، فقد كتب يقول: لمن أعيش؟ وأجاب: أعيش للإسلام وللجزائر.

ويشرح ذلك بأن حياته للجزائر هي حياة للمغرب، وحياته للمغرب حياة للأمة العربية، وحياته للأمة العربية هي حياة للأمة الإسلامية، بل للإنسانية جمعاء.

أيها السادة الأفاضل،

إنني قد لا أغالي إذا قلت: إنه لولا قَدَرُ الله بإرسال الإمام عبدالحميد بن باديس إلى ربوع وطننا – كما أشار إلى ذلك د. محمد المبارك رحمه الله، في مجلة حضارة الإسلام سنة ١٩٥٦ – لما كان اليوم يذكر أمامكم، لا أخوكم هذا، عبدالرحمن

شيبان، ولا هذه الجزائر التي تعرفون، مسلمة مجاهدة، أصيلة عصرية، أعطى أبناؤها الذين أيقظهم تعليم الإمام وتربية جمعية العلماء أروع الأمثال لبطولة الأبطال، ونضال الرجال وجليل الأعمال، إعلاء لكلمة الله، ورفضًا للهوان والإذلال، وهي باقية على العهد – إن شاء الله – رغم كل المكائد التي لم تفتأ تكاد لها منذ فجر الاستقلال حتى اليوم، ورغم مكر الماكرين، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال.

لذلك أساتذتي الأفاضل، آثرت أن تكون هذه الكلمة تذكيرًا ببعض مواقف ومآثر هذا الإمام الهمام، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الرائدة، وتعبيرًا بهذه المناسبة الجليلة، لتقديري واعترافي بالجميل، لكل أساتذتي الذين يرجع إليهم الفضل بعد الله سبحانه في تربيتي وتكويني وإجازتي، وكل ما مكنني الله من تقديمه لديني وبلادي وأمتي. يقول الإمام مخاطبا شعبه في المؤتمر السنوي لجمعية العلماء: «**.. حوربتْ فيكم العروبة حتى ظن أنه قد مات منكم عرقها، ومسخ فيكم نطقها، فجئتم بعد قرن، تصدح بلابلكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها، فتلك الحصون والمعاقل.**

وحورب فيكم الإسلام حتى ظُنّ أن قد طمست أمامكم معالمه، وانتزعت منكم عقائده ومكارمه، فجئتم بعد قرن، ترفعون عَلَمَ التوحيد، وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد،

وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد، صلى الله عليه وسلم، لا كما حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون، ورضيه أعداؤه.

وحورب فيكم العِلم حتى ظُنّ أن قد رضيتم بالجهالة، وأخلدتم للنذالة، ونسيتم كل عِلمٍ إلا ما يُرشح به لكم، أو ما يُمزج بما هو أضر من الجهل عليكم، فجئتم بعد قرن، ترفعون للعلم بناءً شامخًا، وتشيدون له صرحًا سامقًا، فأسستم على قواعد الإسلام والعروبة والعلم والفضيلة جمعيتكم هذه، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك في ظل معجزتين اثنتين، قرآنية ونبوية:

فأما المعجزة القرآنية فتتمثل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

وأما المعجزة النبوية؛ فهي أن تأسيسها وافق مرور مائة سنة بالضبط على الاحتلال، وفقا للحديث الشريف: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داوود والحاكم والبيهقي.

وحوربت فيكم الفضيلة.. حتى ظُن أن قد زالت منكم المروءة والنجدة، وفارقتكم العزة والكرامة، فرضيتم الحيف، وأعطيتم بالمقادة، فجئتم بعد قرن، تنفضون غبار الذل، وتهزهزون أسس الظلم، وتزمجرون زمجرة العزيز المهان، وتطالبون مطالبة من يعرف له حقًا لابد أن يعطاه أو يأخذه».

حقا لقد كانت الجزائر في وضع يهدّد كيانها بالذوبان والفناء، ذلك أن الاستعمار الفرنسي، كما يقول الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، الرئيس الثاني لجمعية العلماء: «**صليبي النزعة، فهو منذ احتل الجزائر عمل على محو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو العربية لأنها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة لأنها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك، ظاهرة وخفية، سريعة ومتأنية، وأوشك أن يبلغ غايته بعد قرن من الزمن، متصل الأيام والليالي، في أعمال المحو لولا أن عاجلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأس القرن بالمقاومة لأعماله، والعمل على تخييب آماله**».

لقد كانت نظرة ابن باديس الناقدة النافذة، تكشف له عما يكمن في الأمة الجزائرية من عناصر القوة والكمال، مما يؤهلها للحياة العزيزة الكريمة، فوضع منهاجه الإصلاحي العام القائم على الكتاب والسنة، فكان شعاره في دعوته إلى الحياة: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها» كما يؤثر عن الإمام مالك.

يقول الإمام معللا اختياره الدين على السياسة في المنهج الذي اختاره: «وبعده فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها، عن علم وبصيرة، وتمسكًا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح

والإرشاد، وبث الخير والثبات على وجه واحد، والسير في خط مستقيم، وما كنا لنجد هذا كله إلا فيما تفرغنا له، من خدمة العلم والدين، وفي خدمتها أعظم خدمة وأنفعها للإنسانية عامة، ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرًا، ولضربنا فيه المثل بما عرف عنا من ثباتنا وتضحيتنا، ولَقُدنا الأمة كلها، للمطالبة بحقوقها، ولكان أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها وأن نبلغ من نفوسنا إلى أقصى غايات التأثير عليها، فإنّ مما نعلمه ولا يخفى على غيرنا أن القائد الذي يقول للأمة: «إنك مظلومة في حقوقك، وإنني أريد إيصالك إليها، يجد منها مالا يجده من يقول لها: إنك ضالة عن أصول دينك، وإنني أريد هدايتك، فذلك تلبّيها كلها، وهذا يقاومه معظمها أو شطرها – وهذا كله نعلمه، ولكننا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبينّا، وإننا فيما اخترناه – بإذن الله – ماضون، وعليه متوكلون».

على أن اعتماد ابن باديس الدين أساسًا للنهوض بالأمة لم يكن منه تزهيدًا في السياسة، بل إنه يرى أن النضال من أجل العلم والحرية والسيادة واحد، وإن تعددت مجالاته، وتنوعت أساليبه، فالدين والسياسة عنده متكاملان متلازمان، وقد كانت كل أعماله تؤكد ما قاله، ففي محاضرة بعنوان: «العلم والسياسة» ألقاها بتونس على جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة، الذين يعدون مع إخوانهم بالجامع الأخضر (بالجزائر) والقرويين،

والأزهر من طلائع النهضة العلمية والوطنية بالجزائر، ويقول توضيحًا لذلك: «وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معًا، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول، لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لابد من الجمع بين العلم والسياسة، ولا ينهض العلم والدين كل النهوض، إلا إذا نهضت السياسة بجدّ».

وقد أكّد عمق هذه النظرة إلى الإصلاح، وشموليتها في الوقت نفسه الإمام **محمد البشير الإبراهيمي** الذي قال في خطبة له بعنوان: «الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي»، منددًا بالذين يريدون أن يقتصر نشاط الجمعية على الدين وحده بمفهومه الضيق: «ويا ويح الجاهلين! أيريدون من كلمة الإصلاح أن نقول للمسلم: **قل لا إله إلا الله مذعنًا طائعًا، وصلّ لربك أوّاهًا خاشعًا، وحج بيت الله أوابًا راجعًا، ثم كن ما شئت: نهبة للناهب، وغنيمة للغاصب، ومطية ذلولا للراكب!.. إن كان هذا ما يريدون فلا، ولا قرة عين، وإنما نقول للمسلم، إذا فصّلنا: كن رجلاً عزيزًا قويًا – عالمًا هادئًا محسنًا، كسوبًا معطيًا من نفسك آخذا لها، عارفا للحياة، سباقًا في ميادينها، صادقًا صابرًا هينًا إذا أريد منك الخير، صلبًا إذا أردت على السير، ونقول له إذا أجملنا: كن مسلمًا كما يريد منك القرآن، وكفى**».

ولكن أيّ إسلام هذا الذي يحيي الأمم بعد موتها عند ابن

باديس؟ إنه الإسلام بمفهومه الصحيح عقيدة وعبادة ومنهاجًا كاملاً للحياة يغني عن كل المناهج ولا يغني عنه أي منهج، يقول الإمام: «إن اللإسلام عقد اجتماعي عام، فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان، في جميع نواحي الحياة لسعادته ورقيه، وقد دلت تجارب الحياة كثيرًا من علماء الأمم المتمدنة على أن لانجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام، فالمسلم الفقيه في الإسلام، غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة».

وهذا الفهم العميق الشامل للإسلام جعله يصيح في الناس أن هناك فرقًا جوهريًا بين إسلامين، إسلام وراثي وإسلام ذاتي؛ فالإسلام الوراثي حفظ على الأمم الضعيفة المتمسكة به وخصوصا العربية منها شخصيتها ولغتها وشيئا كثيرًا من الأخلاق ترجح به، لكن هذا الإسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالأمم، **لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبيه أفكارها وتفتح أنظارها، والإسلام الوراثي مبني على الجمود والتقليد فلا فكر ولا نظر.**

والإسلام الذاتي هو إسلام من يفهم قواعد الإسلام، ويدرك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله، ويتفقه حسب طاقته، في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويبني ذلك كله على الفكر والنظر، فيفرّق بين ما هو من الإسلام، بحسنه وبرهانه، وما ليس منه بقبحه وبطلانه، فيحيا حياة فكر وإيمان وعمل.

فكان ابن باديس إذن خير أنموذج يحتذيه شباب الجزائر، في الحاضر والمستقبل كما عبّر عن ذلك شاعر النهضة الجزائرية الحديثة، محمد العيد آل خليفة – رحمه الله – في مناجاته لروح الإمام الرائد، إذ يقول:

عبد الحميد، لعل ذكرك خالد ولعل نزلك جنة وحرير
ولعل غرسك في القرائح مثمر ولعل وريك للعقول منير
نم هادئا، فالشعب بعدك راشد يختط نهجك في الهدى ويسير
لا تخش ضيعة ما تركت لنا سدى فالوارثون لما تركت كثير

لقد كان الإمام ابن باديس يؤمن إيمانًا قويًا بأن نهضة الجزائر من كبوتها، لن تكون إلا على سواعد شبابها، فعمل على إعداده، تعليمًا وتهذيبًا، بواسطة مساجد الوعظ والإرشاد، ومدارس التربية والتعليم، ونوادي التثقيف والتوجيه، وجمعيات التكوين والتنظيم، والصحف والمجلات، إذ يقول مخاطبًا شباب الأمة:

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

وقد طبق رجال ثورة نوفمبر الظافرة خطته المحكمة هذه، بعد أربعة عشر عامًا من وفاته وهي تتمثل في:

١ - سحق الظالمين المحتلين: حيث يقول:

وأذق نفوس الظالمين السم يمزج بالرهب

٢ - واستئصال جذور الخائنين إذ يقول:

واقـــلع جـذور الخـــائنين فمنهـــــم كـــل العطـــب

٣ -وتعبئة الجامدين حتى يفيقوا من عميق سباتهم:

واهـــزز نفوس الجـــامدين فـــربـــما حيـيى الخشـــب

٤ -وبناء مجتمع الكفاية والعدل:

وارفـــع منـار العـــــدل والـــ إحســـان وأصـدم من غصب

هذا ومن المفيد أن نسجل لناشئتنا، أن المنهج الذي أعتمده ابن باديس وصحبه من علماء الإصلاح بالمغرب الإسلامي، إنما هو امتداد للثورة الإصلاحية التي فجرتها روح الأفغاني[١]، وأرست دعائمها عبقرية الإمام عبده[٢]، والشيخ رشيد رضا[٣] بالمشرق الإسلامي، وقد سجل هذه الحقيقة الشيخ المرحوم «محمد العيد» إذ يقول مخاطبًا ابن باديس: في الحفل الذي أقيم له بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم:

حكيتجمال الدين في نظراته كأن جمال الدين فيك مصور

وأشبهت في فقه الشريعة عبـــده فهـــل كنته، أم عبده فيك ينشر

سادتي الأساتذة الأفاضل

ما هذه الكلمة المختصرة إلا لمحة خاطفة عن أقل القليل من

١- يقصد السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني، صاحب جريدة «العروة الوثقى».

٢- محمد عبده من أبرز تلاميذ الأفغاني، وشارح نهج البلاغة.

٣- من أبرز تلاميذ محمد عبده ، وصاحب تفسير المنار.

مناقب ومآثر مؤسس جمعية العلماء المسلمين الأول، الإمام عبد الحميد بن باديس، عرفانًا بفضله وإشادة بجهاده وفكره، بمناسبة تكريمي.

ولقد كانت للجمعية صولات وجولات، ومواقف مقدامة رائدة في مواضيع عدة، كموقع المرأة المسلمة في المجتمع ودورها فيه، وقضية اللغة الأمازيغية، والعروبة، والطرق الصوفية، ومسألة الخلافة الإسلامية، وغيرها، مما يمكن لطلبة الكلية الإطلاع عليه من خلال كتب كثيرة مثل **آثار الإمام عبد الحميد بن باديس للدكتور عمار الطالبي في ستة أجزاء، وآثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي في ٥ أجزاء من عمل وجمع السيد الوزير أحمد طالب الإبراهيمي**، وأطروحة الدولة للدكتور علي مراد في السوربون «**الإصلاح الإسلامي في الجزائر**»، ورسالة د. مازن صلاح مطبقاتي، ورسالة دكتوراه في فكر الإمام وعمل جمعية العلماء للدكتور تركي رابح وغيرها.

والجمعية اليوم تواصل كفاح الأمس مع الفارق الكبير أن خصم الأمس كان الاستعمار، وخصم اليوم أذنابه ومخلفاته، ولعمري إنه لألدّ الخصام وأشدّه.

صوت من الجزائر العربية المجاهدة

ما هذا التكالب على إيران؟

عمار الطالبي*

قام الشعب الإيراني المسلم بانتخاب من يرتضيه ويحقق طموحه، ويحافظ على سيادته وأنفته، ويثبت أقدامه، ويطوّر حياته، وإن لم يرتضه الآخرون، وبرهن هذا الشعب على دفاعه عن اختياره لهذا الشخص أو ذاك، وأتيحت الفرصة لكل من يحق له أن ينتخب ويختار، وللشعب الحق أن يختلف في اختياره، ويدافع عنه، وهذا يقع في أغلب الشعوب التي تمارس الديمقراطية غربًا وشرقًا، وهي ظاهرة محمودة، وعمل طيب، يدل على وعي الشعوب ويقظتها وحبها للحرية.

ولكن نرى أن الدول الغربية لم يعجبها هذا كله وأخذت تهوّل، وتحرض، وترسل رسائل، تريد أن توقد النار، وأن توقع بين هؤلاء وأولئك، وتأخذ في نسج النصائح، وصياغة المواعظ والإرشاد، كأن الإيرانيين قوم لم يبلغوا الرشد، ولم ينضجوا، ولم يجربوا ويلات الغرب وكوارثه، وما سلّطه عليهم من استعمار أسود في عهود مضت!!.

---

* - أستاذ جامعي جزائري.

وكأنّ الشعب الإيراني فقد ذاكرته، ونسي تاريخه في عهد مصدق وغيره، لماذا هذا التكالب على توجيه النصائح، وتهويل أمر المظاهرات، **أنها أمر صحي وظاهرة يقظة، وحب للحرية**، ولكن أتترك الدولة البلاد تحترق، والشوارع يتقاتل فيها الناس في زحمة المحتجين وتأجج العواطف، واشتعال المشاعر التي تؤدي إلى الإخلال بالأمن؟

إن هذه من شؤون هذا الشعب، وأموره الداخلية قد تكون أخطاء وألاعيب، ولكن المؤسسات الدستورية هي المرجع وهي الفصل لا الدول الخارجية والتوجيهات التي لا غرض لها إلا حصار الشعوب التي تريد أن تنهض، والقيادات التي تريد أن تستقل بذاتها، وترفع رأسها، وتأبى الخضوع والخنوع، **أما الشعوب الخاضعة والقيادات الخانعة فتُترك في سبيل حالها، لا تُلام، ولا تُرسل إليها أية رسالة، مادامت مطيعة، منقادة، ولو كانت مستبدة طاغية، تكتم أنفاس الناس، وتعدم حرياتهم، وتدمر مشاعرهم الوطنية، وتوقهم إلى الحرية والديمقراطية**.

إن هذه لموازين معوجة، وسبل منحرفة، وسياسة لا معيار لها إلا المصالح الخاصة التي لا تراعي حق الشعوب أن تكون لها مصالح، وأن يكون لها عِلم وتقنية، وحرية وانعتاق من قيود القوى الخارجية وهيمنتها.

ونحن في القرن الواحد والعشرين، وقد تحقق لكثير من

الشعوب من الوعي ما يمكّنها أن تكون لها كلمتها ووجودها الدولي المستقل، وقد ظننا أن الاستعمار قد ولّى، وسيطرته أخذت في الأفول، ولكن هذا الظن تبين أنه لا أساس له، ولا حقيقة لوجوده، **إذا غاب لونٌ من الاستعمار ظهر لون آخر، لا يراعي مصالح الشعوب الآخرين، ولا حقهم في الحرية والاستقلال.**

فهذه إسرائيل تنصح نصيحة الشيطان، وتزعم مزاعم إبليس، وتنضم للدول الغربية تحثهم على محاصرة إيران وضرب مصالحها، وصدها عما هي بسبيله من اكتساب الطاقة النووية، ونسيت هي مالها من أسلحة نووية، لم تعد خافية على الناس، وأنها هي التي تهدد السلم العالمي بجواسيسها، واختراقها للروس وأسلحتهم، ومنعهم من تطويرها أو تسليح غيرها بالصواريخ البعيدة المدى، ولا تكف عن جوسستها، واختراقها وإفسادها للعلاقات بين الدول والشعوب تتجسس على حاميها وسندها من الأمريكان أنفسهم كتلك العجائز الشمطاء في الدس بين النساء وإفسادهن بالنميمة والغيبة والتحريض والتحريش، فمتى يتفطن الغرب لهذه الجرثومة التي توقد الحروب، وتطبخ السم، وتبث الضغائن، وتستند إلى الأقوياء تخدعهم، وتمكر بهم ، وتزج بهم في الحروب، واصطناع المعارك لفائدتها وتصنع الأسلحة الفتاكة، وتجربها في فلسطين وغيرها، تقوم شؤونها على الوعد والوعيد، إلا أن الناس شرعوا في التفطن إلى ألاعيبها، ولكن الدول الغربية

ليست لها الشجاعة الكافية أن تردها عن غيها، وأن تصدها عن هذا السلوك الإبليسي والوقعية والدسيسة.

تريد أن تخلق صراعًا بين إيران والعرب، بين السنة والشيعة، بين من تسميهم المعتدلين ومن تسميهم المتطرفين، وتتلاعب بالقضية الفلسطينية لدهر خلا، وكل مرة تراوغ وتضع ألاعيب ماكرة، ربحًا للوقت، ونهبًا لأراضي فلسطين، حتى لا يبقى من الأرض ما تقوم عليه دولة ولا شعب ولا سيادة، بعد هذا الكفاح الفلسطيني الطويل، وهذه الدماء التي سالت.

ينطق الغربيون بصوت واحد، ويتنادون للكيد استجابة لنداء إسرائيل ورغبات هؤلاء اليهود الذين يصرّون على يهوديتهم، ويتنكرون لوجود الفلسطينيين وهويتهم، ويصفون المقاومة المشروعة لتحرير الوطن بالإرهاب، ويسايرهم الغرب مسايرة لا غبار عليها جهارًا نهارًا.

مع أن مصالحهم مع العالم الإسلامي، الذي ضحى بمصالحه، وأمواله، وأستغلها الغرب الذي أفسد اقتصاد العالم، وتلاعب به، وكما يقول المثل: «يأكل الغلة ويسب الملة».

والواقع أن العرب والمسلمين عامة، وضعف قياداتهم وسياستهم وعدم فعالية سلوكهم السياسي هو الذي أدى بنا إلى هذا الوهن، فلا يُقرأ لنا حساب، ولا تُسمع لنا كلمة.

إننا لمسؤولون عن أموال الأمة أين ذهبت؟ وكيف ذهبت،

ولتكن لنا شجاعة كافية كي نصرح للأمة كيف نُهبت هذه الثروة وابتلعتها البنوك التي عمدوا إلى إفلاسها لأنها تختزن أموال المسلمين، ولعب الصهاينة لعبتهم فساعدوا البنوك الأخرى، وتركوا البنوك التي بها أموالنا تسقط في الإفلاس، نحن لم تكشف لنا الحقائق في هذا المجال إلى يومنا هذا، ونخشى أن تكون قد حدثت كوارث لا ندري عنها ولا عن مصير الأموال شيئًا. نساعد المفلسين من الدول الكبرى بأموالنا في حين ينضمون إلى أعدائنا يظاهرونهم ويسلحونهم ضدنا في فلسطين وغيرها.

إن إيران تجاهد من أجل أن تنهض بشعبها، وأن تكتسب التقنية والعِلم، وتثبت وجودها، وأن الذين يجعلونها عدوًا ويتصادقون مع إسرائيل لمخدوعون، فلا تقوم للأمة قائمة إلا إذا توحدت من أفغانستان وإندونيسيا إلى طنجة، فالأمة الإيرانية أمة مسلمة، وهي قوة للمسلمين، ومن عاداها فقد عادى المسلمين، ومن أضرّ بها وركن إلى الأعداء فقد تولى العدو وترك أخاه من حيث يظن أنه عدو له، فهذا ضلال في التصور، وغيّ في السلوك، وقد تبين الرشد من الغي لمن كان يؤمن بالله ورسوله، ويؤمن بالقرآن الذي فصّل القول في هذا وبيّنه، فهذه هي الإستراتيجية الحقيقية لا السياسات الوقتية والمصالح الجزئية التي تغرّ بعض الناس، وتعمي بصيرتهم عن الآفاق البعيدة، وعن التاريخ وما يحمل من عبر لا تعتبر بها، وتتمسك بالأوهام والتخيلات. كم

خُـدعنا، ومُكـر بنـا!! كـم تعلقنـا بالأمـاني واعتقـدنا أن حـل مشـاكلنا يكـون بأيـدي غيرنـا!! ولقـد تفطـن الأعـداء لهـذا، فاسـتمروا في بنـاء سياسـتهم نحونـا، وعَلِمـوا نفسـيتنا، وفهمـوا سلوكنا، فصاغوا إستراتيجيتهم صوغًا وفق هذه النفسية وهذا السلوك.

كـم درس تـاريخي لم نُفد منـه!! وكـم صفحة من التـاريخ لم نقرأهـا قـراءة واعيـة!! وذاكرتنـا قصـيرة، وحافظتنـا لا تحفـظ، ووعينا لا يدرك مداه، ولا يبلغ غايته.

ألا إلى متـى يـدوم هـذا الـوهم، وتتسـع أبصـارنا وبصـائرنا إلى الآفاق لندرك حقيقة ما يراد بنا؟ فرح الغرب وظن أن الفرصة قد حانـت للإطاحـة بـإيران وإرادتهـا القويـة، وأن زلزالهـا يـأتي علـى الأخضر واليابس فيها.

دعـوا الإيـرانيين يـدبرون أمـورهم، فـإنهم ليسـوا في حاجـة إلى أوصياء.

أنا آسف على الإعلام الغربي الذي ينطلق من بلدان تتبجح دومًا بالمدنية، لكن هذا الإعلام مليء بتقارير كاذبة عن إيران، كيف تسمح هذه البلدان أن يكون إعلامها بهذا الشكل ؟!

الإمام الخميني

٢١ محرم ١٤٠١هـ

صوت من الجزائر العربية المجاهدة

حينما يتباكى العرب على الديمقراطية في إيران!

حسين لقرع*

● لعل من الغرائب التي أفرزتها نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة في إيران أن بعض الأنظمة العربية قد وجدت فرصة ثمينة لتصفي حساباتها السياسية مع إيران، فلم تتردد في ركوب موجة المتظاهرين... والتباكي المستمر على الديمقراطية «المقموعة» في إيران!

وقد وصل الأمر بأحد المواقع العربية التابعة لإحدى دول «الاعتدال» كما تسمي نفسها زورًا وبهتانًا، إلى القيام بسبر آراء طرح فيه سؤالاً مغرضًا على قرائه عما إذا كانوا يرون ديمقراطية إيران حقيقية أم مغشوشة؟ وكانت النتيجة حسب هذا الموقع أن ثلثي قرائه يرونها ديمقراطية «مزيفة».

ومنذ بداية الاحتجاجات الشعبية اليومية بإيران ووسائل الإعلام التابعة لدول «الاعتدال» لا تجد موضوعًا آخر تفتتح به يوميًا سوى

* - كاتب جزائري في صحيفة البصائر.

التباكي على «زيف» الديمقراطية الإيرانية و«قمع المتظاهرين وكبت أنفاس المعارضين»، وكأنّ مواطني هذه الدول يتنفسون هواءً ديمقراطيًا نقيًا في بلدانهم، ويتمتعون بحرية الانتخاب واختيار حكامهم وممثليهم في شتى المجالس، ويتمتعون أيضًا بحرية صحافة وتعبير عالية كالتي نجدها في التجربة الإيرانية الفتية على نقائصها ومساوئها!

كل الدول الخليجية باستثناء الكويت لا تعرف شيئًا اسمه الانتخابات البرلمانية، فهل يحق لإعلامها أن ينتقد التجربة الديمقراطية الإيرانية ويهاجمها بشراسة وهو يفتقد إلى الحدّ الأدنى منها؟! هل يحق لأحد أن ينهى آخر عن خلق ويأتي مثله، بل أعظمَ وأفظع منه؟ وفي دول أخرى تقول إنها أسقطت الملكية المتخلفة وأقامت «جمهورية» عصرية، يجري إعداد سيناريو «التوريث» على قدم وساق منذ سنوات قليلة وتحضير الشعب لذلك بالتدريج حتى يتقبل الأمر، دون أن يقول لنا هذا النظام: ما الفرق بين «جمهوريته» والملكية البائدة التي أسقطها أسلافه؟ وكيف يُعقل أن يتباكى على الديمقراطية الإيرانية «المقموعة» بينما لا يكفّ عن الزج بمعارضيه يوميًا في السجن وحبس من يجرؤ على منافسته في الانتخابات الرئاسية على شكليتها وطابعها المسرحي الفاضح؟!

إنني هنا لا أدفاع عن تزوير الانتخابات ومصادرة إرادة الشعب،

هذا إذا افترضنا أن ما يقوله معارضو نظام نجاد بخصوص التزوير صحيح، ولكن معارضة مصادرة حقوق الشعوب في اختيار حكامها ينبغي أن يكون مبدأ شاملاً يتمسك به كل الأحرار في العالم دون أي تمييز بين بلد وآخر، أما أن يتباكى البعض على ما يعتبرونه «تزويرًا فاضحًا» لنتائج الانتخابات في إيران وينتقدون الديمقراطية «المغشوشة والمقموعة» في هذا البلد، ثم يسكتون عما يحصل في الكثير من الدول العربية المستبدة من تنصب الحكام أنفسهم مدى الحياة، وتوريث الحكم لأبنائهم، في الملكيات والجمهوريات على السواء، ثم تنبري أبواقهم الإعلامية الببغاوية لمهاجمة التجربة الإيرانية وحدها، فهذا لا يمكن فهمه إلا في سياق ﴿كبُر مقتًا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾.

إنها انتقائية مرذولة لا هدفَ لها سوى تصفية حسابات تاريخية مع إيران الصامدة التي يُراد لها اليوم أن تدفع ثمن مواقفها الثابتة من المقاومتين اللبنانية والفلسطينية منذ نجاح ثورتها في ١٩٧٩، حيث طردت الإسرائيليين من طهران واحتضنت المقاومة وكانت وراء انتصاراتها المتتالية وبخاصة في السنوات الأخيرة لتمحو بذلك الهزائم الشنيعة للجيوش العربية أمام العصابات الصهيونية منذ ١٩٤٨.

ومثلما تحالف «عرب الاعتدال» مع أمريكا والغرب في مناسبات عديدة سابقة ضد المقاومتين اللبنانية والفلسطينية،

ووراءهما إيران وسوريا، ها هم الآن يصرون على نفس النهج الباطل القائم على الاعتزاز بالإثم ويتحالفون مجددًا ضد إيران، ويجندون أبواقهم الإعلامية لشن هجمات إعلامية مركزة على نظام نجاد قصد النيل منه وتشويه سمعته، وإظهاره بمظهر المستبد الظالم الذي يقمع حق الشعب الإيراني في اختيار حاكمه ويريد احتكار الحكم لنفسه، وهذا في نفس الوقت الذي تواصل فيه الولايات المتحدة وبريطانيا تأجيج المظاهرات الإيرانية وتجنيد المزيد من الموالين لها للاستمرار فيها.

إنه دور سياسي قذر انتهجته دول «الاعتدال» ضد المقاومة ومن يقف وراءها من دول «الممانعة»، وليس أمام إيران إلا أن تصمد مجددًا إلى أن تخرج من محنتها ظافرة كما خرجت من قبل، وأن تصبر على ما تلاقيه من نصب وأذى على يد «إخوان» كان يجب أن يكونوا معها لا عليها، وأن تبقى على الحق ظاهرة لا يضرها من خالفها إلى أن يأتي الله بأمره.

نحن ضعفاء في إيصال صوتنا إلى العالم، وكل الأقلام في الخارج تتحرك ضدّنا، وكل الأذاعات الأجنبية تعمل ضدنا، ومع أن الجميع يعملون ضدّنا فإن هذه القافلة تشقّ طريقها إلى الأمام بشكل إعجازي، وستشّق طريقها نحو الأمام أكثر.

من حديث الامام الخميني في مقابلة أجراها معه

محمد حسين هيكل ١٢ صفر – ١٤٠١هـ

صوت من الجزائر العربية المجاهدة

قوتان لا يستهان بهما

الصادق سلايمية*

شاءت الأقدار أن لا أحضر مؤتمرًا انعقد بإيران حول الأمن في المنطقة دعيت إليه منذ سنتين لإلقاء محاضرة في الموضوع وقد نشرتها في البصائر، ولكنني لم أنشر القصيدة التي أعددتها لهذا الملتقى الهام حتى أُسمع الحضور صوت الجزائر المجاهدة، وهي التي **أكدتُ فيها بعاطفتي الشعرية وانتمائي العربي الإسلامي الأصيل بعقلانية متزنة أن الجزائر وإيران هما جناحا العالم الإسلامي اليوم وعيناه وركزيتاه في البناء والاهتداء**، فإذا وقع بينهما التواصل وتولد عن الاحتكاك العلمي والثقافي بينهما ما يشد الأزر والمفاصل وحافظ كل واحد منهما على ما يتميز به من فقرات وفواصل وقال العالم الإسلامي بلسان الإعجاب والإكبار هي ذي الجزائر الشامخة حذو إيران الثابتة الراسخة، وهي ذي ثمارهما العلمية الباذخة، خِلتَ إذ ذاك العالم الإسلامي يردد بحب: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.

في القصيدة يجد القارئ الكريم الصورة التي نريدها

---

* - كاتب جزائري.

للجزائـر، جزائـر الأمـير عبـدالقادر وعمـيروش والحـواس وابـن بـو العيـد ولطفـي ومالـك بـن نـبي والإبراهيمـي، جزائـر البطـولات والمؤلفات والأدمغة التي يأبى التاريخ مهما حاولوا طمس معالمها إلا أن يخرجهـا مـن حـين إلى حـين إلى الوجـود، ولهـا مـن الإشـعاع الإبداعي الذي اهتدت به الإنسانية...

إذا كـان النسـيان قـد فـرض علينـا في الجزائـر وأصـحبنا أمـة تكـرم مـن يسـبها وتهـين مـن يرفعهـا فـإن هـذا النسـيان في بعضنـا الـذين ورثـوا كبريـاء نـوفمبر عـن المجاهـدين والعلمـاء لـن يكـون مادام فينا انتساب إلى الأمير عبدالقادر وملايين الشهداء.

إنا لأكبر قوة من وحدة

وطـني الجزائـر نخلـة في مهجـتي ... أغصـــانها والمجتنـــى إيـــران
وإذا الأصـول عـن العيـون تغيبـت ... فعلـى الأصـول تـدلك الأغصـان
اثنـان دونهمـا العقيـدة لم تطـر ... كـم خـاب مـن لم يعلـه الطـيران
وهـي الـتي فـوق النجـوم مقامهـا ... إن كبّـــر الأوراس أو طهـــران
وإذا بقـم صـلى أطهـار الـورى ... فمـــن الجزائـــر أذن الأذان
اللّه أكـبر قـم بقـمّ خاشـعًا ... فهـي العروبـة مـوطن ولسـان
وهـي العقيـدة والسـلاح إذا التقـى ... في صـرحها القـرآن والعربـان
لـو كـان بالـدين الثريـا لانتهـى ... يومـا إليـه الساسـة الساسـان

صدق الحبيب المصطفى إذا قالها ... وأشار يخبر هو ذا سلمان[1]

ماذا أقول وكل بيت في دمي ... يجري فترقص حوله الأوزان

ويصير فجرًا في الظلام على فم ... والفجر حقًا ما تعي الآذان

أما العيون فقد تخادع بالذي ... أدواته الأضواء والألوان

إن السراب بقيعة لبني الظما ... لخديعة لو يفقه الظمآن

وبنو العيون إذا حشوا أسماعهم ... صممًا أناخوا للعيون فهانوا

عاشوا القرون بغير سمع فانتهوا ... فكأنها وكأنهم ما كانوا

أنّى لقصرك أن يسود وأنت من ... إن جئت تسمع لفك الحرمان؟

لو لم أجد إلا الأصم يقودني ... لاخترت أعمى فالهدى العميان

كون الأصم بلا لسان دائمًا ... وسيادة الرجل الضرير بيان

لم يخلق الرحمن أجمل آية ... فوق البيان كما روى الرحمن

شيد بسمعك قبل عينك منزلا ... خير المنازل في الدنا البرهان

وإذا تجسد في مناكب أمة ... لم يستطع إغواءها الشيطان

هذي أخي إيران في إيمانها ... نووية سلمية إيران

شيعية سنية كل بها ... رغم التباين في الرؤى إخوان

من نارها فرّ العدوّ وقد جثا ... وبنورها يستأنس الإنسان

عقبانها ونسورها وأسودها ... في مأمن مما تشي الغربان

وطيورها إن غردت لبت لها ... أم القرى لو أسلم الظهران

إني أزف إليك خير تحية ... بدم الشهيد حبيبتي تزدان

---

١ – إشارة إلى الحديث الشريف: «لو كان العلم بالثريا لتناوله قوم من فارس» .

وبـآل أحمـد والصـحاب تعطـرت ... حتى انتشهت من عطرها الأكوان

زُفّـت بإمضـاء الأمـير أميرة ... ولهـا مـن النسـب الشـريف بنـان

تلـك الجزائـر حـذو إيـران إذا ... سـعتا تجلـى للـورى الـديّان

فـإذا المغـارب مشـرق ومنـارة ... وإذا المشـارق في الخليـج أمـان

وإذا التصـهين والتـأمرك خاسـئ ... لـمّا قـلاه الأهـل والجـيران

وإذا الكنانـة للرهـان تجاوبـت ... لحـق الريـاض وسـاندت عمّـان

وتـبرع الـيمن السـعيد بروحـه ... للقـدس إن نـاداه والجـولان

إنـا لأكـبر قـوة مـن وحـدة ... وبـدونها تسـتعبد الأوطـان

وشـروطها أن تبتنـى برجالهـا ... لا بالإمـاء ومـا يـرى الغلمـان

فالهر كالأسد الهصور إذا اعتلى ... عرشًـا تـدير شـؤونه الفئـران

حتـى إذا قـرضت قوائم عرشه ... أهـوى وضـاع الملـك والسلطان

على المسلمين أن يستعيدوا وجودهم، أي أن يفهموا أنهم يمتلكون ثقافة ووطنا وشخصيّة، لقد عَمَلت القوى الكبرى على تلقين شبابنا بأننا لا نملكُ مدرسة فكرية، ولا بد من تطبيق المدارس الفكرية الأخرى في بلداننا. لقد اعدّوا لنا ثقافة أنستنا وجودنا، وبذلكَ تيسّر لهم أن يسرقوا كياننا وكل ما عندنا.

من حديث الامام الخميني لوفد جنوب لبنان ٨ رجب ١٤٠٠هـ

رسالة أخوية

من الدكتور التويجري

الامام الخميني حيّ بعلمه وبجهاده وبتعاليمه...

تسلم سماحة الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية رسالة من سعادة الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) هذا نصّها:

سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

طهران – الجمهورية الإسلامية الإيرانية

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد،

فأهنكم بشهر الصوم المبارك، وأسأل الله تعالى أن يتقبل منكم صياكم وقيامكم وصالح أعمالكم.

ولقد لفت نظري على غلاف العدد (٢٥) من مجلة (ثقافة التقريب) هذا العنوان: (الإمام الخميني حيّ)، الذي تكرر عدة مرات في رأس المقالات المنشورة في هذا العدد.

وإذا كان هذا العدد قد صدر بمناسبة ذكرى رحيل الإمام الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يرحمه الله، فإن هذا الاعتبار، لا يبرر أن يصاغ العنوان هكذا: (الإمام الخميني

حي)، دون عبارة أو كلمة تزيل اللبس مثل: حيّ بعلمه أو بجهاده أو بتعاليمه... إلخ، لأن الحيّ الدائم الذي لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم، هو الخالق سبحانه وتعالى.

وألفت نظركم بلطف إلى هذه المسألة، حرصًا منا على رفع أي التباس يمكن أن يفهم من هذا العنوان غير المناسب، كما لا يخفى على سماحتكم.

مقدرًا جهودكم الموفقة في خدمة أهداف التقريب، وفي نشر ثقافة التقريب وتعزيزها، ومتمنيًا لكم كامل التوفيق ومزيدًا من النجاح، وموفور الصحة والعافية.

وتفضلوا، سماحة الأخ الأمين العام، بقبول فائق التقدير وبالغ الاحترام، وخالص المودة.

المدير العام

د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري

ثقافة التقريب: نتقدم بخالص الشكر وفائق التقدير للأستاذ الدكتور التويجري على هذه الالتفاتة الطيبة، وعلى دقّة ملاحظته ونصحه. والذي حدا بنا إلى هذا العنوان: (الامام الخميني حي) هو نداء السيد القائد الإمام الخامنئي الذي وجهه إلى العالم الإسلامي في أول موسم حج بعد رحيل الإمام المؤسس رضوان الله تعالى عليه.

وقد أدرجنا النداء في ذلك العدد وفيه يقول:

«إنه حيٌّ في تكبير المجاهدين المسلمين، حي في صلابة إرادة الشعوب المظلومة، حي في إيمان ويقظة الجيل الشاب المعاصر في دنيا الإسلام، حيّ في نور أمل المستضعفين والمظلومين، حيٌّ في حرقة قلوب العارفين، حيّ في عودة الحياة المعنوية والقيم الأخلاقية في العالم، حيّ في جميع مظاهر الجمال الباهر التي خلقتها حركته الثورية الصانعة للتاريخ في العصر الراهن.. وهو أخيرًا حي في قلوب كل واحد من عشاقه وأتباعه».

وهذا يوضّح ما قصدناه من العنوان: الامام الخميني حي».

ثم إننا نرجو الله سبحانه أن الإمام الراحل يكون في زمرة الشهداء الذين قال عنهم سبحانه: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

ونعيد الشكر والتقدير للدكتور عبدالعزيز حفظه الله واهتمامه وحرصه على سلامة كلّ ما يصدر في العالم الإسلامي، وتسديده ونصحه للعاملين على الساحة الإسلامية.

اخبار التقريب

المعرض السابع عشر للقرآن الكريم في طهران

أقيم في شهر رمضان المبارك المعرض السابع عشر للقرآن الكريم في مصلى الامام الخميني (ره) بالعاصمة طهران.

وللمرة الاولى شارك طلاب جامعيون من عدة دول إسلامية في غرفة تحمل اسم مجمع اتحاد طلاب العالم الإسلامي. كما شارك في معرض العام الحالي ٣٥ جامعة ومؤسسة ومنظمة جامعية. وتشمل النشاطات مواضيع علمية وتخصصية تصل إلى ٢٠ موضوعًا هامًا.

وانعقدت أكثر من ٢٧ جلسة علمية وتخصصية بحضور أساتذة الجامعات لبحث أهم القضايا المطروحة على الساحة، وأُقيمت جلسات لمناقشة اطروحات الطلاب في المراحل الثلاث البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، وجلسات تثمين وتقدير لجهود مؤسسات النشر القرآنية والتعريف بأهم نشاطاتها ونتاجاتها في المجالين الدراسي والعلمي التحقيقي، وتثمين وتقدير جهود المؤلفين والمترجمين و الفنانين المتميزين في المجالات القرآنية والتعريف بالناشطين في مجال القرآن والعترة على الصعيد الجامعي.

من الغرف المثيرة للالتفات في هذا الجناح غرفة الاصوات

القرآنية، وغرفة الآيات البصرية، وغرفة القرآن وعلوم العصر، وغرفة مجمع اتحاد طلاب العالم الإسلامي وغرفة الصور المجهرية الضوئية وغرفة الاطروحات الجامعية.

الإمام الخامنئي يعزي بمناسبة رحيل السيد عبد العزيز الحكيم

وجّه الإمام الخامنئي بيان تعزية بمناسبة رحيل حجة الإسلام و المسلمين السيد عبد العزيز الحكيم فيما يلي ترجمة نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغنا بكل حزن و أسف خبر رحيل رئيس المجلس الأعلى الإسلامي العراقي سماحة حجة الإسلام السيد عبد العزيز الحكيم إلى ديار الخلد.

إنها لخسارة كبيرة للشعب و الحكومة في العراق و فقدان أليم للجمهورية الإسلامية. لقد كان آخر الأبناء البررة لمرجع الشيعة الكبير المرحوم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم والذين

نالوا جميعًا وسام الشهادة في سبيل الجهاد ضد النظام البائد السفاح في العراق و عملاء الاستكبار أو تحملوا الامتحانات العصيبة لهذا الجهاد العظيم.

الخدمات التي قدمها هذا العالم الديني المجاهد من أجل تشكيل الحكومة الوطنية في العراق سواء في فترة إقامته في إيران أو بعد سقوط حكومة صدام و انتقاله إلى بلده هائلة و لا يمكن نسيانها.

إنني إذ أبدي أسفي الشديد لهذا الحدث الأليم أقدم تعزيتي الحارة لعموم الشعب العراقي الشقيق و للحكومة العراقية و للمجلس الأعلى الإسلامي العراقي و لعائلة الحكيم الرفيعة ولأبنائه البررة الأكفاء و خصوصًا حضرة السيد عمار الحكيم، و أسأل الله للمرحوم الرحمة والمغفرة الإلهية وللشعب و الحكومة في العراق العزّة والتقدّم.

السيد علي الخامنئي

السادس من رمضان ١٤٣٠ هجرية قمرية

السيد عبد العزيز الحكيم في ذمة الله

أُعلن في الخامس من شهر رمضان عن وفاة رئيس المجلس الأعلى الاسلامي في العراق السيد عبدالعزيز الحكيم بعد صراع طويل مع المرض.

وكان قد نقل السيد الحكيم إلى مستشفى في العاصمة الايرانية طهران بعد إصابته بانتكاسة صحية حيث وافته المنية.

وجرت في طهران مراسم تشييع جثمان رئيس المجلس الاعلى الاسلامي العراقي السيد عبد العزيز الحكيم أمام مبنى السفارة العراقية في طهران بحضور مسؤولين عراقيين وإيرانيين رفيعي المستوى، وجماهير حاشدة.

وتمّ نقل جثمان الفقيد بعد انتهاء مراسم التشييع في طهران الى مدينه قم، ومنها إلى العراق، حيث ووري الثرى في مثواه الأخير بالنجف الأشرف.

تتقدم ثقافة التقريب بأحر التعازي إلى أسرة الفقيد والى الشعب العراقي وجميع المصابين بفقده.

مسؤولية العاملين في الحقل الاعلامي الإسلامي

دعا العلامة المرجع، السيّد محمّد حسين فضل الله، العاملين في الحقل الإعلاميّ الإسلاميّ إلى إعداد الخطط العمليّة لمواجهة حملات الدّعاية الغربيّة المضادّة، والمحاولات الجارية على قدمٍ وساق لتشويه صورة الإسلام في العالم. وأكّد أنّنا نتطلّع إلى إعلامٍ إسلاميّ جامعٍ يجمع كلّ وسائل الإعلام الإسلاميّة الهادفة والمسؤولة بعيداً عن العنوان المذهبي، لصنع حركة إعلاميّة رائدة في مواجهة مروّجي الخرافة والغلوّ ودعاة التّكفير... داعياً إلى التزام الحريّة المسؤولة، والتعاطي بمصداقية، وسلوك خطوط الإبداع الفنيّ في حركة الإعلام الإسلاميّ.

وقال سماحته: نريد للإعلام الإسلاميّ، بكلّ إمكاناته وطاقاته، أن يتحرّك في خطّ الوحدة الإسلاميّة، ولتجتمع كلّ وسائل الإعلام الإسلاميّ في نطاق مؤسّسةٍ جامعةٍ تضع في رأس أولويّاتها وأهدافها وحركتها العمل على الدفاع عن الإسلام،

وحمايــة الوحــدة الإســلاميّة، ولا تســمح للخــرافيّين والغــلاة والمتطـرّفين اختـراق هـذه الوسـائل، وبـثّ أسـاليب الفرقـة، ونشـر ثقافــة الشّــقاق بــين المســلمين مــن خــلال الإســاءة إلى الرّمــوز الإسلاميّة، أو بالاعتماد على روايات وسرديات غير صحيحة، تـؤثّر سـلباً في الجسـم الإسـلاميّ العـامّ، وتعمـل علـى تهـديم البنيـان الإسلاميّ على رؤوسنا جميعاً.

واشار سماحته الى الحرب الاعلامية الدولية والاقليمية الموجهة ضد القيم الاسلامية والعالم الاسلامي مؤكدًا أن هذه الحرب هي أخطر من الحروب العسكرية داعياً الى إعداد الخطط البديلة لمواجهـة هـذه الحـروب الـتي تحـاول التشـكيك في قـدرة الامـة الاسلامية على المواجهة .

مؤتمر المجلس الأعلى لصيانة الهوية الإسلامية للقدس الشريف

هذا المؤتمر عقـــد في العاصـــمة الافغانيـــة كـــابول تحت شعار وحـــدة

العالم الاسلامي تحل مشكلات المسلمين. و شارك اكثر من ١٠٠ من الشخصيات والمنظمات الدينية والثقافية.

وأكد المشاركون على اهمية القضية الفلسطينية، وتعزيز الوحدة الإسلامية، ونشر تعاليم الاسلام، مشددين على أن حل جميع مشكلات الأمة الاسلامية وخاصة أفغانستان، رهن بالقضاء على الصهيونية وحل القضية الفلسطينية.

الرئيس أحمدي نجاد يرحب بالحوار الايراني - العربي

رحب الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد بتصريحات الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى حول ضرورة الحوار العربي الايراني.

وقال : إن هناك حوارًا وعلاقات جيدة جدًا حاليًا بين إيران ومعظم الدول العربية، محذرًا من محاولات إثارة الفتن بين دول المنطقة.

وأضاف "نحن نعتبر جميع الشعوب بما فيها الشعوب العربية صديقة لنا، وتربطنا اليوم علاقات صداقة مع غالبية الدول العربية".

وأوضح بأن حجم التبادل التجاري بين إيران والدول العربية كبير جدًا وآخذ في التنامي، مستبعدًا أن يكون هناك بلد عربي حرّ يشعر بالقلق من تنامي قدرة إيران .